

قراءة فى تجربة تنظيم الدولة

أبو لمــى

2016



سلسلة أدب المقاومة

الكتاب الأول

قراءة في تجربة تنظيم الدولة

أبو لمــى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد فقد وصلتني رسالتك والتي تسألني فيها عن عموم الأوضاع في المنطقة, وكثير من الأسئلة تدور حول "الدولة" خصوصا, كونها شغلت حيزا من الواقع اليوم, وكذلك حول الطالبان والقاعدة والنصرة (سابقًا) وأحرار الشام إلخ, وسأجيبك بإذن الله إجابات مفصلة, وسأقسم المطلوب إلى فصول لكي يسهل تناوله.

لكم يؤلم كل مسلم سقوط تجربة تنظيم الدولة وتلاشيها وقد كان في الإمكان الترقي بهذه التجربة لأقصى ما يمكن الوصول إليه في هذه الحقبة العصيبة, لولا هذا الغلو المقيت وذاك البغي الفظ على عموم الجماعات العاملة للإسلام.

لكن أود توضيح عدة نقاط قبل الشروع في هذا المقصود والله المستعان:

-1 لست فيما أخوض فيه في هذا الشأن سوى مسلم يحب الله ورسوله والمسلمين، ويبتغي نصرة المسلمين وعزهم أجمعين؛ فلا تجهد نفسك أخي الكريم في تصنيفي، لتستفيد لطيفا وتستدرك خفيفا.

-2 لم يكلفني الله تعالى في هذا الشأن بأكثر من التجرد لوجهه الكريم باطنًا.. وهو مطلبٌ أرجو الله أن يتعطف به علي، واستفراغ الوسع في التدليل والتعليل ظاهرًا.. وهو ما أطلبه من حول الله وقوته حثيثًا.

-3 خلافي مع كل منتسب للإسلام كالإخوان والدولة = خلاف داخل دائرة الإسلام. وعليه: فكل من ثبت له عقد الإسلام فله من المحبة والنصرة بقدر إسلامه، وله من البغض والبراء بقدر انحرافه.

-4 بئس أخ يعلم من أخيه محبته لله ورسوله والمسلمين، وسعيه -بما يستطيع من عقل وآلة- في إحقاق الحق = ثم يرميه بنفاق أو مرض أو ضلال فضلًا عن أن يتزيد -بفجور- فيتهمه على محبة السادة المجاهدين -عليهم بركات رب العالمين- أو مناصرتهم.

-5 لا يعني خلافي مع الدولة جحد جهادها الكافرين حيث كان، أو إنكار أي بلاء لها حسن في ذلك, مما تقر به عيون الموحدين أجمعين، وتغتاظ به قلوب الكافرين والمنافقين.

-6 مرحى ومرحبًا وأهلًا وسهلًا وحبًّا وكرامةً وفضلًا وإفضالًا بكل متعقب وناصح ومستدرك بنفي ما أثبته أو إثبات ما نفيته (ما كان مقسطا مهذبا) ،بل أنا والله إليه أحوج ما أكون شيئًا. فإنما الغاية تحري الحق والظفر به. وحيث تأكد لي رجعت إليه ولا بد.



7- لماذا علينا -في أغلب القضايا- أن نقبل جميعا، أو ندع جميعا؟

لماذا لا ننظر في هذه المواقف المتشابكة فنحلل ونفصل لنأخذ منها ونترك؟

لماذا -وذلك مهم جدا- يُحسب المخالف -ضرورة- على جهة من الجهات، بينما الواقع ليس كذلك.

8- ليس خلافي مع إخوة الدولة وليد الساعة واللحظة، بل ذلك قديم مذ أعلنوا التمدد، ولي تعليقات عديدة على: "مصطلح الدولة وتحليله، وضوابط الألفاظ المستعملة الحادثة، وغير ذلك...".

أرجو الله أن يقيني وإخواني شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأن يبصرنا بالحق حيث كان ويرزقنا اتباعه.



بسم الله

كثير من الإشكالات ستنحل لو فهمنا كيف تتركب هذه التنظيمات وشكل هيكلها وهدف نشأتها, وبما أن تنظيم القاعدة هو الأصل لكثير منها فسأتناول هيكلته وشكله مفصلا مقارنة بالدولة, وأذكر أثر ذلك على الفكر والحركة.

وأيضا سأذكر لك بعض ما تميزت به الدولة كإحياء النموذج المملوكي واستراتيجية الرعب وغيرها, وأعلق على بعض ما أراه من مظاهر غلو وسوء تعامل مع المصطلحات المجملة وفهم مغلوط لقواعد التكفير.

وهذا هو منهاج سير البحث:

الفصل الأول: ظاهرة التنظيمات .. بين تنظيم القاعدة وفرسان الهيكل.

الفصل الثاني: بين القاعدة والدولة .. أثر الشكل والهيكلة على الفكر والحركة.

الفصل الثالث: في ذكر بعض استراتيجيات الدولة المتجاوزة والتي تستحق الدراسة.

الفصل الرابع: في ذكر بعض مظاهر الغلو عند الدولة.

الفصل الخامس: تفصيل الكلام لقاعدة "من لم يكفر الكافر".

الفصل السادس: في سوء تعامل مشايخ الدولة مع المصطلحات المجملة ومباينته لطريق السلف.

الفصل السابع: في إشكالات دار الكفر عند شرعيي الدولة.

الفصل الثامن: إشكالات حول مصطلح "الصحوات".

الفصل التاسع: في بيان خلل كلام بعض الشرعيين حول البيعة للدولة.

الفصل العاشر: في صراع الدولة مع الطالبان.

الفصل الحادي عشر: نقاتل مع أهل القبلة من ليس من أهل القبلة (الدولة الإسلامية نموذجا).

الفصل الثاني عشر: في حجة من أجاز الاستعانة بالكفار في مقاتلة النصيرية.

الفصل الثالث عشر: في ذكر الوضع في الشام واليمن والصومال وأفغانستان والعراق وليبيا ومالي إجمالا (فقرة إخبارية).

الفصل الرابع عشر: في الفرق بين (إقامة الدين) وبين (إقامة القضاء).

الفصل الخامس عشر: في التعليق على تجربة جبهة فتح الشام (النصرة سابقا).



الفصل الأول: ظاهرة التنظيمات

بين تنظيم القاعدة وفرسان الهيكل

الفصل الأول: ظاهرة التنظيمات

بين تنظيم القاعدة وفرسان الهيكل

فارس الهيكل فارس مغوار، لا يُشقُّ له غبار، إذ تحتمي روحه بدروع الإيمان، قبل أن يحتمي جسده وراء دروع الحدد, فهو إذ ذاك محمي من كل جانب، لا يهزه الخوف من الإنس أو حتى الشياطين

برنارد دي كليرفو، 1135 ميلاديًا، في مدح تنظيم الفروسية

ظاهرة الجماعات العسكرية التي لا تخضع لسلطة الدولة أو الجماعة الأم = ظاهرة لا تخطئها عين باحث في تاريخ الأمم والممالك, وهي حاضرة في التاريخ الأوروبي بكثرة, يقول د.محمود سعيد رمضان في مطلع بحثه القصير "الجماعات العسكرية الدينية في البرتغال في العصور الوسطى":

(**يمكن القول أن الجماعات الدينية نشأت مع الاعتراف بالديانة المسيحية دينا فى الامبراطورية الرومانية أى البيزنطية عام 313م بموجب مرسوم ميلان ، ويمكن القول أيضاً أن هذه الجماعات الأولى قدمت الخدمات الاجتماعية والدينية والأمنية الرمزية فى الإمبراطورية البيزنطية وأوربا فى العصور الوسطى حتى بدايات الحروب الصليبية حيث ظهرت الجماعات الدينية العسكرية فى بلاد الشام شرقاً، وهى الاسبتارية والداوية والتيوتون.**

ثم امتدت إلى بلاد الأندلس حيث الحروب الصليبية فى الغرب، ثم زادت ونمت هذه الجماعات الدينية العسكرية بعد نهاية الحروب الصليبية فى المشرق وحركة الاسترداد فى الأندلس، وتابعت نشاطها مع حركة الكشوف الجغرافية والمد الاستعمارى فى العالم القديم والجديد) اهـ.

وهذه القضية بما أنها ظاهرة مجتمعية فهي ليست مقصورة على العالم الغربي فقط, فقد عرفها المسلمون ووجدت في مجتمعاتهم, فإذا تجاوزنا جماعة سيدنا أبي بصير في العهد النبوي, وانتقلنا لعصر كثُرت فيه التنظيمات الإسلامية المقاتلة =

فإن القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) يعد أوج ازدهار حروب المغامرة والعصابات الإسلامية القوية، التي تتحدى حتى حكومات وإمارات إسلامية قائمة, وتعمل هذه العصابات الإسلامية في البحر المتوسط غالبا، لحساب نفسها أو في ظل إحدى الحكومات المسلمة، مستقلة أو إلى جانب الحملات الرسمية, ثم استمر وجود مثل هذه الجماعات إلى يومنا هذا ولم ينقطع تقريبا, وممن اهتم بجمع بعض أخبار أوائل هذه التنظيمات القتالية الأستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه "مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام", وسوف أذكر طرفا منها.

مرادي في هذا الفصل إلقاء الضوء على تعامل المجتمع والسلطة النصرانية مع الجماعات الدينية المقاتلة والمدافعة عن المسيحية ضد الكفار والمعتدين -المسلمين-, وما نراه من حكومات منتسبة للإسلام وكتيبتها الأثيرة من مشايخ وعلماء وطلبة علم في التعامل مع نفس الظاهرة, وقد أخذت أبرز مثالين على ذلك وهما: تنظيم القاعدة وفرسان الهيكل (المعبد), لما لهما من عظيم أثر في واقعهما.

فرسان الهيكل عرفوا أيضا **بالداوية**, من أقوى التنظيمات العسكرية الصليبية وأكثرها ثراء ونفوذا وعددا, إبان حروب الفرنجة المعروفة بالحروب الصليبية, ذاع صيته وثبتت قدمه بعد تصديق الكنيسة الكاثوليكية عليه سنة 1129 وازداد عدد أعضائه بصورة متسارعة, حتى وصلوا لعشرين ألفا في أوج قوتهم, وقد كانوا مدنيين في الأصل, شاركوا في معركة حطين وحصار عكا ومعركة أرسوف ومعركة الرملة وفتح عكا وسقوط الأندلس وغير ذلك.

لا أقصد سرد تاريخ هؤلاء سردا مجردا, وما أخذتهم إلا مثالا فقط, لكن تصور مدى احتضان المجتمع النصراني بسلطته الروحية ممثلة في البابا والزمنية ممثلة في ملوك أوروبا لهم ولغيرهم من الجماعات المقاتلة العديدة, وقارن هذه الصورة بما تراه من وقوف حكامنا المنتسبين للإسلام في وجه كل بادرة رافضة للظلم والطغيان, وقتلهم لكل من يفكر مجرد تفكير في استرداد بقعة صغيرة من بقاع الإسلام المحتلة!

في سنة 936هـ قرر شارلكان ملك إسبانيا التنازل عن طرابلس لفرسان مالطة, مقابل مساعدته في حربه ضد بحرية الدولة العثمانية التي بدأت تتجه بقوة ناحية الشمال الإفريقية، وبالتالي كسب فرسان مالطة موطئ قدم لهم بالسواحل الإسلامية, قطعوا به الطريق على الإمدادات العثمانية القادمة من شرق المتوسط.

قارن هذا الموقف بالآتي:
في 2003 اجتمع وزراء خارجية دول مجلس التعاون، وتم الاتفاق على مشاركة قوات (درع الجزيرة) في الحرب على العراق..!
ولكن القوم لم يكتفوا باستعلاء الكافرين على المسلمين، وتدمير عقائدهم وبلادهم وقتل رجالهم واغتصاب نسائهم، وتنصير أبنائهم وبناتهم فقط, وإنما لم نسمع إلا فتاوى تحريم وتجريم الجهاد في العراق، وعمية الراية، وجاهلية من مات تحت راية عمية، وأن شرط الجهاد إذن ولي الأمر، وما دام لم يأذن فلا يشرع القتال حينها..!



هل رأيت الفرق بين شارلكان وحكام ممالك القش في الخليج؟!

تعد معركة الرملة إحدى أبرز انتصارات فرسان الهيكل؛ حيث ساعد ما يقرب من 500 فارس جيش الصليبيين البالغ عدد جنوده بضعة آلاف بإلحاق الهزيمة بجيش صلاح الدين البالغ ما يقرب من 26 ألفا.

قارن موقف أمراء أوروبا من فرسان الهيكل في هذه المعركة, بموقف حكام المسلمين وعلمائهم من حادثة المدمرة كول أو ضرب البرجين أو عملية ويست جيت أو غير ذلك من ضربات تنظيم القاعدة وفروعه لأباطرة الاستكبار العالمي, وقل لي بماذا خرجت؟!

سأختصر لك الوقت, وأذكر لك موقفا يلخص كل الواقع وكل ما تراه:

كان للقيادة العسكرية المركزية الأمريكية التي تتبع لها (السعودية ومصر والسودان والأردن والعراق وإيران وغيرها) عند وقوع أحداث 11 سبتمبر 13 مرفقاً خاصاً بها في السعودية، بالإضافة إلى حقها باستخدام 66 مرفقاً تابعاً للقوات المسلحة السعودية.

والمشايخ الكرام منذ مؤتمر مكة 1991 والذي شارك فيه 400 شخصية بارزة من مشايخ وعلماء العالم الإسلامي= يعتبرون عشرات الآلاف من جنود الأمريكان المدججين بأفتك الأسلحة وأحدثها (مستأمنين)، لا يحل استهدافهم، بل هم آمنون. ومن تعرض لهم من تنظيم القاعدة أو غيره من المجاهدين فهو خارجي حروري، ليس له إلا السيف..!

وبذلك استخرج الأمير النازي نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية فتوى من هيئة كبار العلماء أيام حادث الرياض في التسعينات.

وأثناء حرب العراق وفي عام 2003 فقط قامت 300 طائرة حربية أمريكية مختلفة الأصناف بدك العراق انطلاقاً من تلك القواعد الأمريكية بالسعودية، وسمح لها بالتالي بحرية الحركة في الأجواء السعودية، وبالقيام بعمليات التقصي والإنقاذ، كما سمح لقوات العمليات الخاصة الأمريكية وغيرها أن تنطلق من الجوف في شمال السعودية باتجاه العراق, ولم نسمع لأصحاب الفضيلة صوتا ولن نسمع!

إذا كان هذا هو موقف هؤلاء من جهاد الدفع ورد عادية المعتدي على حرمات أمتنا, فماذا ستكون ردود الأفعال المنتظرة من قادة العمل الإسلامي وحكام ممالك القش وعلمائهم, إذا فتح تنظيم القاعدة مثلا أو غيره من الجماعات المقاتلة جزيرة كريت وسيطر عليها, أي إذا انتقل إلى جهاد الطلب؟!

ذكر الأستاذ **عنان** في كتابه "مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام" (فتح جزيرة كريت (إقريطش) على يد إحدى العصابات البحرية الأندلسية المغامرة, الذين كانوا قد خرجوا على الحكم بن هشام أمير الأندلس في عام 202 هـ في ثورة الربض الجنوبي، وبعد هزيمتهم تشتت شملهم، ففر منهم 10 آلاف مقاتل ونزلوا بثغر الإسكندرية واستولوا عليه.



ثم تركوه في عام 212 هـ واستطاعوا فتح جزيرة كريت والتغلب على حاميتها البيزنطية، واتخذوا من الجزيرة قاعدة لطائفة من الحملات البحرية على الجزر المجاورة, بعد أن وفد عليهم عدد وفير من المغامرين المسلمين، ولبثوا في الجزيرة زهاء قرن ونصف!).

وذكر كذلك غزوة "تسالونيكا" المبهرة عام 291 هـ على يد القائد العظيم ليون الطرابلسي رحمه الله وتنظيمه البحري, أدعوكم لقراءتها ولا أريد الإطالة بذكرها.

لماذا نذهب بعيدا, ماذا كان موقف ممالك الخليج وتركيا من فرع القاعدة الشامي (النصرة) بعد توسعه في سوريا وإثخانه في عصابات الأسد والشيعة, وهو مجرد جهاد دفع؟!

بل ماذا كان موقف علماء المملكة من قتل ما يزيد عن أربعين مجاهدا في يناير 2016 على يد حكومتهم المبجلة؟!

أربعين مجاهدا من الذين لم يرتضوا الرضاع من لبن البيت الأبيض، ولا أن يكونوا عبيدا كمشايخ البنتاجون.

مع شرعنة مقيتة كاذبة قبل ومع وبعد القتل من مشايخ الذل والعار والفسولة والضعة والخسة. ألا خسف الله بملككم يا آل نحوس الأرض، وأتى بنيانكم من القواعد، ليخرّ عليكم سقفُ العذاب بعد سيف الصالحين.

المضحك أن الشيخ سلمان العودة بعد تأييده لهذا الإجرام البواح, راح يستنكر فعل حكومة بنجلاديش بالإسلاميين هناك وإعدامهم!

ما يفعله الطواغيت في كل زمان ومكان ليس غريبا عليهم، بل هو المنتظر والمتوقع.. إنما العجيب أن يشرعن حكمهم وظلمهم وتجبرهم في الأرض وتسلطهم على العباد أناسٌ منسوبون للعلم والدين والشريعة.

مع كل ما يرونه من صريح موالاة سلاطينهم للكافرين، ومدهم بكل ما يستطيعون مما يسير آلاتهم العسكرية التي تسحق المسلمين شرقا وغربا، وشركاتهم المتغولة المتوحشة التي تشرف على منهجية إفقارنا وإذلالنا.

لا أنسى أبدا دفاع أحمد سالم المستميت في كتابه "صورة الإسلاميين على الشاشة" ضد حادثة قتل بعض طاقم القوات الجوية الأمريكية في السعودية فترة التسعينات، واتهاماته لمنفذيها بكل قبيحة. وما أحمد سالم ومركز نماء وسلطان العميري، والعريفي والبريك والقرني والشريم، وعشرات من أشباههم= إلا حائط صد وسياج بشري لولي أمرهم، عاملهم الله بما يستحقون.

قصة طويلة وحرب أطول بين التنظيمات والجماعات المجاهدة طليعة الأمة وبين قوى الاستكبار العالمي ووكلائهم المتربعين على عروش الدول الإسلامية, وكلما ذهبت جماعة أو مات تنظيم سيقوم آخر وثان وثالث حتى نتحرر من نير طواغيت العرب والعجم, قريبا إن شاء الله.

****



الفصل الثاني: بين القاعدة والدولة

أثر الشكل والهيكلة على الفكر والحركة



الفصل الثاني: بين القاعدة والدولة

أثر الشكل والهيكلة على الفكر والحركة

> كل ما له شكل يمكن التغلب عليه، وكل ما له هيئة يمكن هزيمته، لذلك يخفي الحكماء أشكالهم في العدم، ويتركون عقولهم تطوف في الفراغ
>
> هواينازي (القرن الثاني ق.م)

الهيكلة والبناء التنظيمي للجماعات والدول والمنظمات له أثر فعال جدا في توجيه الجماعة أو الدولة نفسها واختياراتها في الواقع ومساعدتها أو عرقلتها في تنفيذ ما قامت لأجله.

فمثلا شباب الإخوان الذين يطالبون الآن بإعادة هيكلة الجماعة وتغيير بنيتها التنظيمية أو إدخال التسليح في بنيتها = لا يدرون أنهم بذلك يريدون إنشاء جماعة جديدة تماما, لا تمت إلى القديمة بصلة.
بعكس الشيوخ الذين يفهمون جيدا ماذا يعني هذا التغيير, ولذلك يقفون في وجهه بكل قوتهم.

وهذه الأشكال بالغة الخطورة في رسم ثبات النظام أو الجماعة أو هشاشتهما, ويحدد بناء على ذلك طريقة عمله, بل وحتى كيفية مواجهة هذا النظام أو ذاك.

قال أبو مصعب في "شرح حرب المستضعفين" :
(معظم الأنظمة في العالم العربي والإسلامي عبارة عن أهرام واقفة على رؤوسها, يعني النظام المصري نظام مؤسساتي, قُتل السادات= استتب الوضع للذي بعده خلال يومين, ومثل النظام السوري مؤخرا.
ولكن هناك أنظمة رأسية واقفة على شخص مثل النظام الأردني واقف على الملك وأخي الملك, والأسرة المالكة أصلا غريبة على البلد وليس لها جذور ولا عشيرة, هو ضيف جاء صار ملكا, ومثل النظام الليبي واقف على شخص, لو قُتل هذا الشخص فليس هناك خيار آخر.

فالنظم المؤسساتية لا يصلح معها إلا حرب طويلة, والنظم الهرمية التي تقف على قعرها إذا نهدم رأس الهرم= تتتابع الأحجار فيسقط الهرم, بينما الأهرام الراسخة رأس الهرم فيها مجرد حجر, لو سقط لوضع مكانه حجر آخر بكل بساطة).
فقد تم تحديد طريقة العمل ضد النظام بناء على شكله وبنيته, كما هو واضح.



ومعلوم أن التنظيمات الإسلامية التي قامت في ربوع العالم الإسلامي قد اتخذت أشكالا عدة بنيويا: هرمية, خلوية, عنقودية إلخ, وكل شكل يحتم عليها طريقة عمل ما, بل ربما امتد تأثيره إلى البنية الفكرية للجماعة.

وكانت التنظيمات الجهادية قد اتخذت أشكالا هرمية في غالبها مع مركزية شديدة في القرار والعمل وصرامة في التنفيذ, بما يشبه في تركيبتها الدولة القومية الحديثة وبنيتها الصارمة كصورة مصغرة لها, وقد أفاض أبو مصعب في الحديث عن مفاسد "الهرمية" ومشاكلها في العديد من كتبه ومحاضراته الصوتية والمرئية.

وبعد تبين مفاسد هذا الشكل= سعى المشايخ في تطويره لشكل أكثر تعقيدا وتركيبا في البناء مع مرونة في مركزية القرار والحركة والعمل.
شكل عنقودي مطور, خلاياه وفروعه لا ترتبط ببعضها بأي صيغة تنظيمية تذكر, خلايا تتصرف كالقيادة غالبا, فتجتهد في تقدير الموقف, وتتخذ ما تراه مناسبا من قرارات, دون الرجوع إلى القيادة الأم, لكنها تسير على النسق العام في الحركة والعمل.

بشكل جديد أشبه بالعنكبوت أو العقرب ذي الأرجل الكثيرة والرأس المركزي, جسد كبير بفروع كثيرة تزيد وتنقص باستمرار وبلا توقع, أجزاء متناثرة وفي نفس الوقت متصلة ومتلاحمة, لكل فرع استقلال في القرار وبناء شخصي وهوية مميزة وطريقة عمل خاصة, مع تعلق بالقيادة والمركز في التوجيه العام والرؤية الفكرية والشرعية العامة.

ويترتب على هذا الشكل أن بعض الأرجل قد تكون أكثر قوة وثباتا وتوسعا من الرأس.
مع وجود ميزة جوهرية جدا, وهي أن الرأس يمكن أن يتبادل الوجود مع أي قدم من أقدام الجسد الكثيرة, ففي حالة زوال الرأس كليا أو جزئيا= بسهولة شديدة يتم بعث الرأس من جديد بكوادر الفرع, أو حتى تبادل الأدوار!
شكل سائل وفي نفس الوقت صلب, يتغير ويتكيف ويتشكل مع الواقع والضغط باستمرار, لا قيمة كبيرة للأرض والاستمساك بها عنده, نظرا لطبيعة الحرب القائمة, وما تتطلبه من حركة ومرونة وسرعة في العمل, ولذلك يصعب القضاء على هذا الشكل جدا, إلا إذا تم قتل الجسد كاملا برأسه وأرجله الكثيرة في وقت واحد, لئلا يقوم فرع صغير منه ببعثه مجددا.



هذا بالضبط شكل تنظيم قاعدة الجهاد وبناؤه.

لكن ما علاقة هذا الشكل الغريب بحركة التنظيم؟

ولماذا ابتعد قادة التنظيم عن التأطير في شكل هرمي صلب مركزي يقيمون به إمارة ودولة؟

هذا يحتاج لمقدمة وشرح طويل..

قال هواينازي (القرن الثاني ق.م):

[**كل ما له شكل يمكن التغلب عليه، وكل ما له هيئة يمكن هزيمته، لذلك يخفي الحكماء أشكالهم في العدم، ويتركون عقولهم تطوف في الفراغ**].

الطبيعة البشرية لا تتحمل أي نوع من أنواع الفراغ، المعنوي والحسي، كالصمت وأوقات اللا فاعلية والوحدة، ولذلك نحتاج دائما لملء الفراغ.

ولذلك قال روبرت جرين في "33 استراتيجية للحرب" :

[**يستطيع الجندي الصمود في وجه أي شيء، إلا ترقب معركة لا تأتي وتوتر لا يزول**].

فحين لا تمنح عدوك هدفا يهاجمه، وتكون متبخرا قدر الإمكان فأنت تلعب على هذا الضعف البشري.

إن العدو الذي لا يستطيع أن يواجهك، بأي شكل من أشكال الاحتكاك تجعله يتصرف بجنون في مطاردتك، فيخسر كثيرا من قوته وتفكيره الاستراتيجي، ويصيبه الإنهاك.

والتحول للشكل الهرمي الصلب ومحاولة تكوين الإمارات ونصب الدول والإيالات في ظل النظام الدولي الحالي يقدم أهدافا ثابتة سهلة، خاصة في ظل التفوق التقني العسكري الهائل.

وكلما طال فرار الجماعات الجهادية وجيوشها الصغيرة وتجنبت المعارك الكبيرة الحاسمة تمكنت من تدمير استراتيجيات النظام الدولي، وأربكته عبر عدم الاستسلام لمنطق الاشتباك الاعتيادي.

في حرب شبه الجزيرة التي اندلعت بين (1808 و1814) حين غزا نابليون أسبانيا= ذاب الإسبانيون في جبالهم ومناطقهم الوعرة، فعذبوا الفرنسيين أيما عذاب، وحرموهم من الاستفادة من تفوقهم العددي والتسليحي.

وكذلك يجب على الجماعات الجهادية المناوئة للنظام العالمي، البقاء في حركة مستمرة سائلة، وعدم التحول لشكل صلب وتشكيل إمارات يتمكنون من استهدافها بسهولة.

مع مد مساحة المعركة لأكبر درجة ممكنة، ونقل القتال إلى مناطق سياسية وعسكرية خارج مسرح الحرب، مما



يدفع النظام الدولي لحماية رقعة واسعة جدا، يصعب الإيفاء بما يتطلبه هذا الدفاع، ويجعله مستنزفا اقتصاديا وعسكريا وسياسيا باستمرار.

وكذلك من الأمثلة الحاضرة الروس في حرب 1812: فقد كان جيش نابليون الذي غزا روسيا يقدر بـ 450 ألفا معهم 200 ألف لتأمين خطوط الإمداد والاتصال. لكن الروس فروا من نابليون في معارك عدة، محتفظين بجيوشهم كما هي، مع تطبيق استراتيجية الأرض المحروقة، فكانوا يتركون له المدينة بلا أي مؤن أو علف للجياد والخيول التي قدرت بـ120 ألفا، وقام الجيشان الروسيان المتمركزان في ليتوانيا بالانسحاب بسرعة، وفي طريقهما أحرقا المحاصيل ودمرا جميع مخازن الطعام، ثم تركوا له كذلك مدينة "سمولنسك" محروقة، ثم موسكو نفسها.

أراض واسعة إنما فارغة، لا طعام فيها ولا ماء، مدن فارغة، مفاوضات فارغة، وقت فارغ لا يحدث فيه أي شيء.

(**حرب الفراغ**) أنهكت الجيش الفرنسي، ومع الحر والبرد الشديدين انتشر فيه المرض بصورة مروعة، وأرهقته غارات العصابات القوزاقية في طريقه ذهابا وإيابا، ورجع منه لفرنسا فقط 25 ألفا..!

مع أن الحروب الحديثة تستطيع التغلب على كثير من مصاعب استراتيجية الفراغ، إلا أنها ما زالت ذات تأثير قوي، خاصة حين تطول الحرب زمنيا وتمتد مساحتها جغرافيا، كمعاركنا مع النظام العالمي.

فهذا الشكل مناسب جدا لطبيعة حربنا مع النظام العالمي وعملية بعث الأمة وتجييش طاقاتها لدفع الصائل المعتدي, فهذا التنظيم السائل يسير بسير الأمة ويأخذ بيدها وينشر فكر المقاومة والدفع والجهاد في طبقاتها ويشاركها آلامها وآمالها, فهو يقوم بتفعيل طاقات الأمة الهائلة المهدرة ولا يستأثر دونها بشيء, بل هو طليعتها ومقدمها في حربها.

الخلاصة: هو الشكل المناسب لحرب طويلة المدى.

ومن هنا تفهم لماذا اعترض قادة التنظيم على فرعهم العراقي, لما أراد الرجوع بالشكل الجديد الذي راموا استنساخه في العراق إلى الشكل الهرمي القديم في بنية "دولة العراق الإسلامية", لما يترتب على ذلك من كوارث.



في عام 2006 سئل الشيخ عطية الله الليبي عن إمكانية إقامة الزرقاوي إمارة في الأنبار، فقال:

(**الرأي المبدئي الذي لا أعتقد أنه يخالف فيه الإخوة، هو أن الاحتفاظ بالأرض وإقامة دولة أو إمارة بمعناها الاصطلاحي المتضمن لأرض ومؤسسات على الأرض.. إلخ= هذا غير ممكن ولا مناسب الآن، ونحن في حالة حرب عصابات مع عدو شرس وعات**).

انظر: "الأجوبة الشاملة لأسئلة أعضاء شبكة الحسبة" للشيخ عطية الله الليبي ص 142.

وقال: (**لا ينبغي -في نظري- الحرص على تأسيس دولة بالمعنى المعروف، المتضمن للانحياز إلى أرض محددة، ووجود مؤسسات وإدارات على الأرض، وشعب منحصر في أرض.. إلخ، ولا التسرع في ذلك.**

فإنها تستهلك الطاقات، وتكون هدفا سهلا للعدو، والعدو الجبان (الأمريكان وأولياؤهم) عصيّهم طويلة، وهي أسلحة الجو وأسلحة الدمار الشامل، فيجب الحذر من ذلك.

نسأل الله أن يرد كيد الأعداء في نحورهم. والمجاهدون بحمد الله (أعني جماعتهم) في معنى الدولة وفي قوتها حاليا، لأنهم سلطان له نوع تمكين.

وإذا فتح الله عليهم وهزم عدوتهم الفاجرة أمريكا، فإن سلطانهم سيكون أقوى وأعز وأمكن، فلا يستعجلوا.

وقد ذكرت مسألة "استهلاك الطاقات"، وقصدت أن الإصرار على التحول من طور الحركة إلى الدولة قبل أوانه يستهلك جزءا كبيرا من طاقة المجاهدين لإدارة هذه الدولة والحفاظ عليها، والمجاهدون طاقتهم محدودة على بركتها والحمد لله. وهناك صيغ يمكن للمجاهدين أن يلجؤوا إليها في هذه المرحلة لإدارة شئون الناس والبلاد، بحيث يكونون هم المشرفين المهيمنين.

وتوكل إدارة شئون البلاد والعباد إلى القوى الاجتماعية المحلية، والحمد لله في الناس خير كثير وقوى كبيرة مكنونة سيأتي وقت تفعيلها، وهذا له تفاصيل سهلة وميسورة، وعند قيادات المجاهدين العليا خبرة واسعة بهذا، والحمد لله).

"الأجوبة الشاملة" ص 150.

وقال **أبو مصعب السوري** من قبل في شرح "حرب المستضعفين":

(**يجب أن نمد مرحلة اللا دولة، لا نفكر بإقامة دولة في مرحلة مبكرة، ونصبح عرضة للضغوط السياسية والدبلوماسية، ومسئولين أمام الرأي العام العالمي والمحلي ،إذا كان بالإمكان أن نستفيد من إيجاد دولة بجانب الدولة تتصرف بدون أن يكون عندها مسئوليات الدولة.**



الآن أنت في منطقة مثل اليمن مثلا ولا مثل الأردن تريد أن تستلم الحكم، شوف كل العقبات والضغوط. وانظر للطالبان الآن لما شكلوا حكومة، وكل التوقعات تشير لو أنهم استلموا الشمال، فبسبب كل الضغوط السياسية لن يستطيعوا أن يتصرفوا بحرية، كما حالتهم كحركة ميليشيا من العصابات، ليست مسئولة مسئوليات الدولة. ، وهذه لفتة يجب أن ننتبه إليها، متى تكون عندك القدرة على أن تتحرك كدولة، ولا عندك الأفضلية أن تستمر في الحركة كعصابات إدارية، مسألة جديرة بالدراسة، لأن الدولة أو الكتلة السياسية المعروفة تتعرض لضغوط ليست كما هي في حالة العصابات).

أعلق فأقول:

"التيار الجهادي بعد خوض ما يقرب من 22 تجربة تقريبا في مختلف بلاد العرب والعجم، وإقامة عدة إمارات، وبعد تجربة الأفغان العرب: الشوط الأول والثاني= انتهى معظمه إلى قناعة، وهي عدم جدوى إقامة دولة أو إمارة أو إيالة أو سلطنة في الوضع الحالي.

وإنما تركز على النظام الدولي، محاولة إسقاطه وقطع دعمه عن أنظمة الردة، وبالتالي يسهل اقتطاع أجزاء من الولايات العربية/ الأمريكية، وتكوين إمارات.

وذلك في مراحل متقدمة جدا من الحرب طويلة المدى، والتي وضع لها أبو مصعب السوري كأحد المنظرين البارزين في هذا الشأن حدا أدنى 50 سنة، منذ 2000 إلى 2050"

وذكر في شرحه على "حرب المستضعفين" وغيره ملامح هذه الحرب، وكيفية إدارة حرب عصابات على هذا المستوى الإقليمي الشاسع، والتصور الكلي العام عن كيفية قطع إمدادات العدو والدعم اللوجستي، وضرب أمثلة بالقرن الأفريقي والجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى وغيرها. وذكر بعض التكتيكات المجملة والمفصلة لقطع شهية العدو عن الجلوس للقصعة.

إلى آخر هذه القناعة الطويلة، والتي تكونت من كمية تجارب كثرة جدا في مختلف بقاع العالم، منذ تنظيم 1965 في مصر، وإلى بداية نشوء الجبهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين في 1996 والتي تحولت فيما بعد لتنظيم القاعدة، ومن ثم التيار الجهادي العالمي.

إلى أن جاءت جماعة الدولة وطرحت المسألة للمداولة مرة أخرى، جازمة باستطاعتها إقامة خلافة لا إمارة فقط، ورتبت على زعمها بالخلافة ما رتبته، مما نراه الآن.

وأغلب هذه الأسئلة -إن لم أقل كلها- التي أثيرت في الفترة الأخيرة قتلت بحثا ومناقشة قبل ذلك، حتى توصلوا لهذه القناعة.

نعم يمكننا دفع الصائل وإدارة التوحش بدون إقامة الدولة والإمارة وتحمل تبعاتها.



ويكون للمسلمين القدرة على ذلك -أي إقامة الإيالات المتناثرة- إذا انقطعت شهية المستعمر عن بلادنا، ورفعنا كلفة تدخله للحد الأقصى، وانعدم دعمه لحكومات العمالة، والتي ستسقط في أيدينا الواحدة تلو الأخرى، وساعتها يكون نصب الإمارات سهلا ميسورا.

وقد ترتبت مفاسد كثيرة جدا جراء تحول الفرع العراقي إلى الشكل الهرمي الصارم وبناء دولة, ومن ذلك:

1) **تصريح أبو عمر البغدادي أن كل من لم يبايع الدولة من "العصاة"** !

ما ترتب عليه من شرور الاقتتال بين الجماعات الجهادية المقاتلة في العراق, حتى طالب عزام الأمريكي بطرد "دولة العراق الإسلامية" من رحاب القاعدة وقال:

(لا بد أن يعلن التنظيم قطع روابطه التنظيمية بذلك التنظيم, وأن العلاقات بين قيادة القاعدة و(الدولة) مقطوعة عملياً منذ عدة سنوات، وأن قرار إعلان الدولة اتخذ دون استشارة مع قيادة القاعدة, وأن قرارهم الاجتهادي قد أحدث انشقاقات في صفوف المجاهدين ومحبيهم داخل وخارج العراق، وأنه لا يبقى بين تنظيم القاعدة والدولة إلا رابط الإيمان والإسلام).

و**قال**:

(وأحب أن أؤكد أني كنت غير مستريح إلى إعلان الدولة منذ زمن طويل, بل كنت غير مرتاح لبعض تصرفات الزرقاوي رحمه الله التي تصرف بها باسم تنظيم القاعدة، وكل ذلك يعلمه المشايخ أيمن وعطية).

لعزام الأمريكي نقد لاذع طويل لدولة العراق الإسلامية, منشور ضمن وثائق آبوت آباد, والتي اعترف بصحتها كبراء القاعدة.

وقد تطور هذا التوصيف - العصاة - لاحقا, حتى وصل بعد إعلانهم الخلافة إلى الرمي بالكفر والردة والعمالة والصحوجة لمن لم يبايع.

2) انزلاق "دولة العراق" إلى الأدلجة, خاصة بعد إعلان التمدد.

الأطروحة الأيدولوجية -كما يذكر الدكتور أكرم حجازي وغيره- هي رؤية متماسكة شاملة وطريقة لرؤية القضايا والأمور, رؤية مغلقة وعقلية حدية.

وهي لا تنمو وتترعرع وتزداد إلا في بيئة صراعية, فمن الطبيعي أن تكون مخرجاتها دموية إذا ما وجدت سبيلًا لها في صلب التيارات المسلحة ،ومن ثم، يصبح تحديد الأعداء والأصدقاء، والخطوط الحمراء، والثوابت والمتغيرات (أيدولوجيا)، خاضعا لمصلحة التنظيم، على قدر كبير من النفعية والبرجماتية.

وأيضا ازدواجية المعايير والنسبية الأخلاقية، فما يسري على أفراد الحركة من قيم لا يسري على غيرهم،



والعكس صحيح.

في هذه اللحظة بالذات لحظة الانزلاق إلى "الأدلجة" ستفقد الجماعة أطروحتها العقدية بعد أن تكون قد وقعت فعلا، من حيث تدري أو لا تدري، في منزلة الإسلام الأيديولوجي فاضطروا أو أُجبروا على استعماله كمرجعية، لا للتشريع, بل للحصول منه على ما يلزم من خدمات سياسية أو أمنية أو حركية أو حزبية.

وفي مثل هذه الحالة لا يمكن أن تنتهي اللغة الأيديولوجية، في ساحة تعج بالسلاح، إلا بصدامات سياسية أو أمنية أو مسلحة, وهو ما حصل فعلا في الجزائر والعراق وسوريا حاليا.

أي حالة جهادية تتلخص في: (الكل خان، أو يخون، أو سيخون)= هي حالة مرضية نرجسية، حالة كاملة من "التمركز" حول الذات، وتحول الكيان إلى (وثن)..!

هي الظن بأن الكيان هو: النظام الضروري والكلي لإقامة الدين، وهو فقط من يسعى لذلك، وعليه: يصبح الطاعن فيه طاعنا في الدين، غير مريد للخلافة، وتحكيم الشريعة، أو (صحوجيا)، متعاونا مع حكومات الخيانة والعمالة..!

التوحد الذي يحدث في (اللاشعور) بين الكيان والإسلام= يؤدي إلى اعتبار أنفسهم في (اللا وعي) "مطلقا" تاما كاملا، لا يصح أن يطرأ عليهم تغيير، فهم متصفون بالثبات والبقاء والفاعلية المطلقة.

وربما ظنت الحركة الجهادية في (اللا شعور) أنها تتصف بالتجاوز والتعالي لدرجة "التنزيه"، ومن هنا لم تعد هناك مرجعية "عقدية" متجاوزة، وإنما مرجعية كامنة فيهم، فهم مصدر القيم والمفاهيم، ومن خلالهم يتم تفسيرها.

وقد تكررت تحذيرات مشايخ القاعدة لمجاهدي العراق من خطورة هذا الانزلاق, فكان مما نصح به الشيخ عطية الليبي في رسالته الشهيرة للشيخ الزرقاوي -رحمهما الله- أن **قال** له:

"سلني إن شئت عن الجزائر سنوات أربعة وتسعين وخمسة وتسعين حين كانت في عز قوتها وتمكنها وكانت على وشك أخذ الدولة، وكانت الدولة على شفا انهيار في أية لحظة، عشتُ هذا بنفسي ورأيته رأي العين لم يخبرني به أحد.

ولكن إنما أهلكوا أنفسهم بأنفسهم بسوء صنيعهم وقلة عقولهم وغرورهم واستغنائهم عن الناس وتنفيرهم لهم بالظلم والتعسّف والتشديد، وقلة الحلم والتلطف والرفق، لم يغلبهم عدوهم، وإنما هم غلبوا أنفسهم وتآكلوا وسقطوا، والله غالبٌ على أمره عز وجل، وله الأمر من قبل ومن بعد"



3) إعلان مجاهدو العراق تأسيس "الدولة" متخذين الشكل السلطوي والهيكلة الهرمية مثل الأنظمة الدولية وحل جميع الجماعات الجهادية وإعلان مقاتلتها وتجاهلهم محاولات باقي فصائل الجهاد إثناءهم عن هذا الخطل

ومسألة حل كل الجماعات في كل العالم, وكذلك قضية نصب الولايات وافتتاح الأفرع عند تنظيم الدولة بمجرد التواجد في المدينة= مما لا أستطيع فهمه ولم يستوعبه عقلي حتى الآن.

فأمير الولاية كما هو معلوم له أعمال يجب عليه إقامتها ومنها -كما ذكر الماوردي في "الأحكام السلطانية"- :
حفظ الدين على أموره المستقرة، وإجماع سلف الأمة، وتنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتخاصمين، وحماية البيضة والذب عن الحريم ليأمن الناس على نفوسهم وأموالهم وحرمهم، وإقامة الحدود، وتحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة، وجباية الزكوات والصدقات وتوزيعها على المستحقين، وتقدير العطايا وما يستحق من بيت المال، مع استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال، وكذلك أن يباشر بنفسه الأمور، وتصفح الأحوال لينهض بسياسة الأمور وتدبير الولاية ولا يعول على التفويض تشاغلا بلذة أو عبادة.

بمعنى عصري مفهوم: ما داموا أعلنوا أنهم ولاية, فعليهم الإيفاء بمشاكل الناس كمسائل العقود والميراث والطلاق والزواج والتعليم والصحة والتجارة والاقتصاد واحتياجات المهجرين والنازحين والمختطفين والضحايا ورد المظالم وتأمين الأرزاق وتشغيل قطاعات الخدمات والمرافق.. إلخ.

وفي ظل الوضع الحالي الذي هو كر وفرّ وعدم استقرار، وكون جل المدن التي تخرج من أيدي الطواغيت من المدن المحرمة لا المحررة، أي: يسهل أخذ العدو لها منك وكذلك يسهل أخذها من العدو مرة أخرى= في ظل هذه الحال والتي نفهمها ونقدرها، كيف تُعلّن ولاية بالاسم ثم لا يُلتزم بمهام الولاية وما تتطلبه؟!
يعني: هل يطلبون من الناس مبايعتهم على أنهم ولاية، والخارج عنها يعامل بأحكام الخارج عن البيعات، أم يتصرفون باعتبارهم جماعة عاملة في هذه المدينة أو القرية، ومن ثم لا يُطلب من أحد بيعة، ولا يرتبون على أحد شيئا؟!
بالفعل تنظير غريب مضطرب، يخلطون فيه بين الإعلان عن مجرد التواجد وبين تحقيق التمكين الكلي والاستقرار الفعلي, وقد نتج عنه سفك دماء طاهرة كثيرة لمن خرج عنهم, إذ تعاملوا على أنهم ولايات حقيقية. .



إذا كان مجرد تواجد بضع عشرات أو حتى مئات من المجاهدين في المدينة مسوغا لإعلانها ولاية = فروما ولندن وباريس ولايات هي الأخرى، ولن تعدم فيها مناصرا أو مجاهدا.
فإن كانت الولاية حقيقية = فلابد أن يقوم واليها بالأمور المذكورة أعلاه، وإلا فهذه الإعلانات محض كلام، ولا يترتب عليها أي شيء.
وإلا فليسموا مثلا: ولاية سيناء أو برقة المرتقبة أو القادمة على وجه الاستبشار. ومن هذا وغيره تفهم لماذا رفض مشايخ القاعدة إقامة الإمارات ونصب الإيالات.

4) التسرع فى فرض الرؤى بما لا يتحمله الواقع والعجلة والتسرع فى الحالة الجهادية كأثر لإعتماد الشكل الهرمي وإعلان قيام الدولة والإمارة.

ومما أنكره المشايخ من مفاسد العجلة وإذهابها لمصالح كثيرة جدا ما جاء في رسالة الشيخ أبي يحيى الليبي للشيخ أبي عمر البغدادي:
(**ومن هنا فإني أرى أن إعلانكم بأن النصارى والصابئة المقيمين في دولة العراق الإسلامية هم محاربون، وعليهم أن يجددوا عقد الذمة مرة أخرى وفق الشروط العمرية = أمر في غاية الاستعجال، وهو فتح لجبهة جديدة موسعة ضدكم، أنتم الآن في غنى تام عنها.**
ولا ندري ما الذي ألجأكم إليها ودفعكم نحوها، ولمَّا تنتهوا من أعدائكم الغزاة وأنصارهم بعد).
وهذا النّفس الحكيم الذي يقدر الأمور قدرها كان يحاول مشايخ القاعدة إيصاله لمجاهدي العراق, خوفا من ذهاب الثمرة ونفرة المسلمين وحلول الفوضى والتشتت ومن ثم الضياع والوقوع في شرك الأنظمة مرة أخرى.
ففي نفس رسالة الشيخ أبي يحيى الليبي للشيخ أبي عمر البغدادي, قال بعد سرد بعض المنكرات التي تعج بها الأمة، وصور الضلال التي استقرت في أخلاق الناس وسلوكهم وعاداتهم ومعاملاتهم.. قال:
(**فمن غير المعقول أن يفكر الإنسان مهما بلغ من القوة والتمكين والسلطان والتأييد أن يغير كل هذه (المنكرات) دفعة واحدة، ولا في مائة دفعة.**
وإن أية محاولة من هذا القبيل والتي تريد أن تقلب الواقع كله مرة واحدة، ليتبدل من واقع مظلم جاهل يعج بالمنكرات إلى واقع عادل ناصع يشمله المعروف من جميع جوانبه= فهو في الحقيقة حكم على المساعي بالفشل من منطلقها الأول.
بل ربما سنكتشف عجزنا عن ذلك من خلال اصطدامنا بالواقع، ومن ثم ستتضاعف المنكرات أضعاف أضعاف ما كنا سنصلحه ونسعى لتغييره).



الحمد لله أن كان الشيخ أبو عمر رجلا عاقلًا حصيًفا، وإلا لاتهم أبا يحيى أنه تم تسييسه بالسياسة الجاهلية، وأنه واقع في أخونة فكرية، ويراعي الحاضنة الشعبية وعقلية جماهير المسلمين ومدى استيعابهم، وربما يقع بهذا في شرك الحاضنة كما يرددون الآن.

لكن من جاء بعد أبي عمر قالوا في أبي يحيى وصحبه ما هو أكثر من ذلك, فقد قال أبو عبيدة اللبناني في حواره مع صحيفة (النبأ) التابعة للدولة –العدد الثالث والعشرين بتاريخ 1437/6/12- يقول:
(أن قادة القاعدة بعد قيام دولة العراق الإسلامية لم يكونوا يريدون إقامة الشريعة، بسبب اعتراضهم على قيام دولة العراق قديما، واعتراضهم على حافظ سعيد والي تنظيم الدولة الآن في خراسان!
وأن القوم -يقصد القاعدة- من أصولهم عدم إقامة الشريعة حال تمكنهم من السيطرة على منطقة من المناطق، والقبول باستمرار الأحكام الجاهلية فيها!
وأن عطية الله الليبي وأبا يحيى الليبي والطرابلسي هم المنظرون الحقيقيون لكل الانحرافات العقدية والمنهجية فيه.. ليغرقوا الجميع في بحور من الضلال، ولم ينس الرجل الشيخ مصطفى أبو اليزيد من طعنة أو طعنتين).

ولا أدري لماذا أغفل ذكر أسامة بن لادن من كل هذا؟
فأسامة بعد كل هذا أحد رجلين:
إما منحرف ككل منظري تنظيمه وشرعييه، أو رجل أحمق لا يرى كل هذه الانحرافات والتميعات التي تهلك تنظيمه، أو يراها ولا يفعل لها شيئا.
لكن أبا عبيدة لم يرد أن يصدم أتباعه بذكر موقفه الصريح من أسامة الذي يتابع كل هذه الانحرافات، لئلا ينفر أتباعه.

5) موقفهم السلبي من "الأمة:

منظرو الدولة وخطباؤها أرادوا إخضاع الأمة للشكل والنموذج الذي اختاروه وفرضوه على الناس, تشعر معه بنغمة استعلاء, فقد قال أبو محمد العدناني بعد تعيينه متحدثا رسميا لدولة العراق الإسلامية وفي خطاب "إن دولة الإسلام باقية" قال:
(اعلمي أمتنا الغالية أن مشروع دولة الإسلام هو مشروعك القادم, وأن أبنائه ما أقاموا صرحه إلا لرفعتك وعزتك).



كأنه يفرض مشروعه وأفكاره على الأمة بقسر واستعلاء, ويطالبها جميعا بتبنيه.
بينما مشايخ القاعدة أخضعوا النموذج والشكل إلى الفكر والشرع والحركة, فأنتج لهم ما يريدون, وأصبحوا جزءا من الأمة, كالابن البار الذي يساعد أباه على النهوض, بعكس قادة الدولة الذين أخضعهم الشكل والهيكل السلطوي الصارم المشابه لهيكل الدول القومية لمآرب أخرى.

وهناك عدة رسائل وتوجيهات من مشايخ القاعدة إلى فرعهم العراقي لجرهم إلى هذا الشكل المتلاحم مع الأمة, الآخذ بيدي ضعيفها, الحنون البار بإخوانه جميعا:
في رسالة الشيخ **عطية الله الليبي** للشيخ **أبي مصعب الزرقاوي** –وهي رسالة عظيمة الشأن تبين منهج قاعدة الجهاد وتجمله- قال موجها له عدة نصائح في هذا الشأن: قال في موقع كيفية التعامل مع المخالفين:
(**الحذر كل الحذر من أن تتعصبوا لاسم القاعدة أو أي اسم وتنظيم، وإنما كل المجاهدين من إخواننا أهل السنة إخواننا وأولياؤنا ماداموا مسلمين, ولو كانوا عصاةً ولو كانوا فجارا، سواء دخلوا معنا في التنظيم أو لم يدخلوا، فهم إخواننا وأولياؤنا وأحبابنا، نتعاون معهم ونتناصر ونتعاضد ونعمل معا، وما يدريك لعلك تذل غدا ويعزّون، وتقل ويكثرون؟!**
فأنت بالله ثم بإخوانك وبعطف اللهِ قلوبَ الناس عليك، وإلا فقد جاهد أناس كثيرون قبلك ووصلوا إلى أكثر مما وصلت إليه).

وقال أيضا:
(**اكتساب الناس وتأليفهم والحذر من تنفيرهم، والرفق بهم وخدمتهم وأخذهم على علاتهم (أي بما فيهم من قوة وضعف وصلاح وفساد وحسن وسيّء... ولا تنافي هذا الاستمرار في الأخذ بأيديهم إلى الخير والأفضل) واصطناعهم ونيل تعاطفهم بكل مستوياتهم ودرجاتهم.**
والحذر كل الحذر من القسوة عليهم أو إذلالهم وتخويفهم, أو التعجل في الأحكام عليهم, أو حتى التعجل في إصلاحهم بشكل قد لا يستوعبونه ويكون لهم فتنة, وينقلبون علينا وعليك كراهية ومضادّة.
ولكن بالهوينى وبالشوية بالشوية بالتدريج الواسع البال، والإغضاء والسكوت عن كثير من أخطائهم وبلاويهم، وتحمل كثير من الضرر منهم في سبيل أن لا ينفروا ولا ينقلبوا أعداء بأي مستوى من المستويات).

<u>وفي قضية مشاروة الناس قال له</u>:
(مشاورة حتى غير المجاهدين من أهل الخير في الجملة من أهل البلد عندك أهل السنة، ومن قاربهم، وإن



كانوا على بدعة أحيانا أو حتى نفاق، ماداموا مسلمين متفقين معنا في المقاومة والجهاد غير واقفين مع الكفار...مثل كثير من العلماء وزعماء العشائر ونحو ذلك.
لأن مشاورتهم (وليس معناه بالضرورة الأخذ برأيهم في كل مرة ولا في الأكثر) وإشراكهم في الأمر سياسة حكيمة دلت عليها الدلائل من الشرع والعقل والتاريخ ومعارف الأمم وتجاربها، وسأكلمك أكثر عن احتواء الناس وتألفهم واصطناعهم وتطييبهم وغير ذلك، فذلك يا أخي هو سبيل كبير للنصر والفتح لا يقل عن العمليات العسكرية، بل هو في الحقيقة الأصل والعمليات العسكرية يجب أن تكون خادمة مكمّلة له.

فعندما تحتوي الناس وتسعهم بأخلاقك وكلمتك الطيبة ومسايستك وتربيتك تكون قد امتلكت أكبر وسائل النصر على عدوك بإذن الله، وإذا أحبك الناس وعظموك عن محبك وودّ، وعطف اللهُ قلوبهم عليك، كان ذلك أنجح وأقوم لكلمتك وأحفظ لك من كل مكروه يخطط له عدوك).

وقال في تبيين علاقتهم بمجموع الأمة:
(**ومنها أي من أسباب قوتنا في ضعفنا ومسكنتنا كوننا جزءا من هذه الأمة العظيمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم, وكون الأمة معنا تحبنا وتؤوينا وتدعمنا وتعطف علينا وتؤيدنا, ومنها مادتنا ومدد جندنا وهي بحرنا الذي تسبح فيه سمكتنا وو...إلخ مما لا يخفى، فلو فرّطنا في هذا السبب المهم فإننا مقصرون مفرطون معرضون للفشل**).

وقال في تفصيل مهام الزرقاوي:
(**ومن أعمالك المهمة التقريب بين أهل العلم وأهل الجهاد في سائر أقطار المسلمين, وأعني بذلك أهل العلم الصالحين أهل الخير والبذل في الله تعالى، وإن خالفونا وخالفناهم في بعض أو في كثير من المسائل والآراء والمواقف, كالموقف من حكومة معيّنة أو أخرى ونحو ذلك**).
وأن الأمة محتاجة أن ترى منا ما يحببها فينا ويحنو قلوبها ويعطفها علينا، ويمنحها عطفا وثقةً واطمئنانا، تحتاج الأمة منا إلى الكلام الطيب وإلى القناعة بأننا عليها مشفقون ولها راحمون، لا جبّارون ولا مستكبرون ولا عنيفون!

أما إذا كان لسان حال الأمة يقول لنا "إن تريد إلا أن تكون جبّارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين" فهذا يضرنا ويفسد علينا قلوب الناس وينفرهم منا, أو على الأقل يجعلهم في غاية السلبية تجاهنا).



وقال في بيان من هم الصف والجدار الذي يؤوى إليه ويحتمي به, وموضع التنظيم من الأمة:

(**أهم شيء يا أخي الحبيب هو صفك الداخلي أن يكون مرصوصا متماسكا قوامه المحبة والاحترام والتعاطف الخالص الصادق، وعندما أقول "صفك" فإن كل المجاهدين وعموم الشعب (أهل السنة) من حولك هم من صفك، ولا أقصد صف المقاتلين ونخبة المنضمين إليك رسميا فقط**).

وهذا فهم عال راق جدا لدور التنظيم وموقعه في الأمة, وأنه يأخذ بيد الضعيف حتى يقوى والبعيد حتى يقترب والعاصي حتى يتوب والمبتدع حتى يتسنن, ولا يحلم بسذاجة النقاء العقدي الطهوري.

وهذا الفهم الراقي انتقل لبعض الجيل الأول فقط من مجاهدي العراق كالشيخ أبي مصعب الزرقاوي وغيره, ثم بدأ يتلاشى ويذهب مع ميلاد "دولة العراق الإسلامية", ثم تطور ضده وعكسه بعد التمدد ثم إعلان الخلافة, حتى عد أحد منظري "الدولة" وهو أبو عبيدة اللبناني أن من مظاهر انحراف القاعدة أن المجاهدين في شبه القارة الهندية كثير منهم صوفيون ديوبندية!

ضيقو الأفق فقط هم من يعتبرون ذلك انحرافا، بل لابد لنا أن نجمع طوائف الأمة على الجهاد ودفع الصائل, ولو كانوا من أهل المعاصي والبدع.

قال أبو مصعب السوري:

(**من أكبر الأخطاء التي وقعنا فيها= أننا حذفنا من اعتبارنا كل الطبقات التي لا تشاركنا أيدولوجيا، والتي كان من الممكن أن يكون لها مساهمة في الثورة**).

وقال:

(فنحن لو اقتصرنا على نخبة النخبة لخسرنا، ولكن هذه النخبة المنهجية يجب أن تكون بالنسبة لنا كما كان أهل بدر وأهل الشجرة والمهاجرون والأنصار بالنسبة للرسول عليه الصلاة والسلام.

فمع أن النخبة واجبة في إدارة حرب عصابات= إلا أننا لا يمكن أن نتصور أنه من خلال هذه النخبة، وبهذه النخبة فقط سنحارب، وإنما كثير من الدوائر تشاركنا المصالح).



وفي حوار شهير مع الزرقاوي سئل:

س) هناك أيضاً من يأخذ عليكم هذا الأسلوب من التعامل مع المبتدعة؟

ج) أي طائفة أو جماعة تنتسب إلى الإسلام وتدين الله تعالى بالجهاد ومحاربة أعداء الدِّيْن من الصليبيين والمرتدين؛ فنحن معهم. وما داموا مسلمين فنحن نناصرهم ونتولاهم ولا نبرأ منهم، وإن تلبسوا ببعض البدع، ولا يمنعنا ذلك من التبرؤ من بدعتهم.

س) كيف تتعامل معهم؟

ج) نناصرهم ونتولاهم، وفي الوقت ذاته؛ نصرح لهم بأنهم على خطأ، ونعرض عليهم حجج السلف في ذلك، ولا نداهنهم على حساب السنة.

فالتناصر وقت الحرب وصد العدوّ الصائل شيء، والتناصر وقت النقاش والمجادلة بالتي هي أحسن ومحاولة إرجاعهم إلى جادة السنة شيء آخر.

نناصحهم ونناصرهم، وشتان ما بين إنسان مسلم متلبس بشيء من البدعة يحمل صفة الجهاد، يقاتل معي أعداء الدِّيْن، وبين شخص يصد عن الجهاد ويعطله ويطعن بالمجاهدين.

وحتى هذا الصنف لا نقاتله، وذلك عملاً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (أن يقال أن محمدا يقتّل أصحابه).

بل هناك ما هو أصرح وأجمل من هذا:

س) أيهما أفضل مسلم تلبس ببدعة، أم مسلم صافي العقيدة لكنه لا يجاهد؟

ج) أما الذي يدعي أنه مسلم صافي العقيدة وهو تارك للجهاد؛ فهو فاسق وأما المسلم الذي يجاهد في سبيل الله؛ فهو أفضل من القاعد عن الجهاد، وإن كان متلبساً ببدعة.

وأُقرب لك الأمر؛ ها هم الطالبان مثلاً المعروف عنهم أنهم ماتُريدية خريجو المدرسة الديوبندية، وهؤلاء من المعروف عنهم أنهم لا يقبلون إلا بتحكيم شرع الله، وقاتلوا في سبيل الله ووقفوا بوجه طغيان أمريكا, وعندهم بعض الأخطاء، ونعلم بهذا. ولكن هم عندي خير من أصحاب العقيدة الصحيحة من "علماء الجزيرة"، الذين بايعوا الطاغوت "عبد الله بن عبد العزيز"، بل أي عقيدة صحيحة يحملون ومن هو الأفضل عند الله تعالى؟ ملا محمد عمر أم هؤلاء؟! بل ملا محمد عمر خير من ملئ الأرض من أمثال هؤلاء.



ماذا نفعتنا العقيدة النظرية التي يعتقدونها؟! وماذا نفعتهم عقيدة ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب؟! وهي محشورة في عقولهم محبوسة في صدورهم، لا تخرج للعلن ولا يرى لها تأثير على الطواغيت، بل إنهم يصدون عن سبيل الله بمبايعتهم للطاغوت وبتعطيلهم للجهاد وبدعوتهم لقتل المجاهدين ووصفهم بـ "الفئة الضالة"، فبئس ما يحملون من "عقيدة" إن لم يتبعها عمل وينتج عنها ثمر صالح، {قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ} [سورة البقرة: 93].

فالطالبان خير من هؤلاء مئات المرات، بل لا مقياس ولا تشابه.

ومثال آخر الشيخ "عبد الله الجنابي"؛ هو صوفي نخالفه ولا نتفق معه، ومع هذا كان الشيخ أبو أنس الشامي رحمه الله يقبل رأسه، وكنا نرجو فيه خيراً، ونطمع أن نجلبه إلى طريق السلف، وقد أهدى له الشيخ أبو أنس إحدى مؤلفات الشيخ ابن تيمية، فماذا نريد من الرجل إذا كان رافعاً لراية الجهاد داعياً لقتال أعداء المسلمين، فهو عندنا - والله - خير من المثبطين القاعدين عن الجهاد. ورغم هذا لم نكن نداهنه، كنا نناقشه، وفي وقت الحرب والمنازلة كنّا نشهر - معه - أسلحتنا بوجه العدوّ الصليبي الصائل.

فيا أخي... ائتني بصوفي يحمل بدعة يجاهد في سبيل الله؛ أقبّل قدمه، وهو عندي خير من القاعد وإن كان يزعم أنه يحمل عقيدة صحيحة، فالمرء ما دام مسلماً مجاهداً هو على خير، وهو أفضل من القاعد على أي وجه كان، على أن لا يمنعني جهاده من التبرؤ من بدعته، ولا يحملني هذا على ترك مناصرته.

ومحصلة الأمر عندنا أن من تلبس بناقض وقاتل الكفار؛ نناصحه وندعوه ونطمع بإسلامه، ولكن لا نستعين به ولا نقاتله ما دام رافعاً للسيف بوجه عدونا، معرضاً عن مقاتلتنا.
وأما المبتدع؛ فنصبر عليه وندعوه ونقاتل معه، ولا نقره على خطئه ولا نداهنه ونستمر بدعوته حتى يعود إلى السنة.

هذا هو دين الله تعالى؛ نصبر عليه وندعوه بالحسنى ونناصره لما معه من الإسلام، ولا أقول له أنت محسن ببدعتك هذه ولا بأس عليك، بل أصارحه بخطورتها وبتلطف وبالحسنى، وأبقى أذكره بحقوق أخوة الإسلام التي تجمعنا.



وإن كان قد ورد عن بعض السلف طرد المبتدع من الثغور، فإن هذا كان أيام التمكين، أما اليوم فأنا أواجه عدواً صائلاً يروم استئصال الإسلام والقضاء على الدِّيْن بالكلية، ولهذا فمن الواجب أن نقاتل مع كل مسلم دون اشتراط براءته من البدع.

وهذا ما فعله شيخ الإسلام ابن تيمية عندما قاتل التتار، فإنه قاتل مع الصوفية ومع الأشاعرة وتحت راية المماليك، الذين كانوا يجمعون ما بين التصوف وعقيدة الأشاعرة والتعصب للمذهبية.

والواقع أنه لم يكن هنالك جيل أو جيش بعد جيل الصحابة والتابعين صافياً. ونقر اليوم بأن هناك أخطاء، وهنالك من المجاهدين من معه بعض البدع، ولكن هذا لا يمنع من القتال معهم ضد عدونا الصائل). ا.هـ

وهذه تقريرات رائعة رائقة, لم تعد تسمع من خلفاء الشيخ أبي مصعب والمنتسبين إليه إلا أضدادها وعكسها, ولله الأمر.

****



الفصل الثالث

في ذكر بعض استراتيجيات الدولة المتجاوزة والتي تستحق الدراسة



الفصل الثالث

في ذكر بعض استراتيجيات الدولة المتجاوزة والتي تستحق الدراسة

من عبقريات استراتيجية الدولة الإسلامية، والتي تنم عن عقلية متجاوزة، ما يمكن تسميته بـ: نواة إحياء (النموذج المملوكي)

من عبقريات استراتيجية الدولة الإسلامية، والتي تنم عن عقلية متجاوزة، ما يمكن تسميته بـــ: نواة إحياء (النموذج المملوكي):

لو نظرت نظرة فاحصة في التاريخ الإسلامية لوجدت النموذج المملوكي، وهو استجلاب مقاتلين أجانب، حاضرا في كثير من الدول، لكن أبرز نماذج أربعة فيه كانت: المماليك العامرية، المماليك البحرية، المماليك البرجية، فرق الإنكشارية.

المماليك العامرية: وهي الفرقة العامرية التي أنشأها الحاجب المنصور بن أبي عامر، فبعد أن تخلص المنصور من الصقالبة أتباع الخلافة الأموية في الأندلس، اصطنع صقالبة غيرهم ممن يديونون له بالولاء، ولذا عُرفوا بالفتيان أو المماليك العامرية.

المماليك البحرية: مماليك الصالح نجم الدين أيوب، من جنس الترك، بنى لهم الملك الصالح "مدارس الطباق" العسكرية الصارمة، في جزيرة الروضة بالمنيل، فنسبوا للبحر بذلك، كانوا من أقوى الفرق العسكرية في العالم وقتها، ومن أشهرهم قطز وبيبرس والأشرف قلاوون.

المماليك البرجية: المماليك الشركس أو المماليك البرجية أو مماليك البرج أو مماليك الحصن، هم عبارة عن لواء (من المماليك) كان مقيما في القلعة منذ جنده قلاوون.

الإنكشارية: طائفة عسكرية من المشاة العثمانيين شكلوا تنظيماً خاصاً، لهم ثكناتهم العسكرية وشاراتهم ورتبهم وامتيازاتهم، وكانوا أقوى فرق الجيش العثماني وأكثرها نفوذاً، أصل برنامج تجنيدهم يقوم على



أسرى الحروب من الغلمان والشباب، ثم تطور لما عرف بالدوشرمة أو ضريبة الأبناء، ويدينون بالولاء للسلطان.

الخيط الجامع في النموذج المملوكي هو:

1- استجلاب مقاتلين أجانب وتنشئتهم عسكريا.

2- القيام بتغذيتهم بمنظومة روحية إسلامية، موافقة للمستجلب.

3- انبتاتهم عن الواقع الجديد يجعلهم أبعد عن مشاكله الداخلية والتأثر بها.

4- تحولهم لما يشبه "الجماعات الوظيفية" القتالية عند المسيري، وفيه نظر.

5- تمحور الولاء حول شخص غالبا.

لما كانت استراتيجية تنظيم القاعدة لا تستهدف إنشاء إمارات وإيالات في الوقت الحالي -لتعذر ذلك واستحالته في ظل الوضع الدولي الحالي، وخاصة بعد تجارب إمارة الطالبان وأمثالها، ولأسباب أخرى ليس هذا محل تفصيلها- جعلهم ذلك لا يهتمون اهتماما بالغا بالعنصر الأعجمي، من حيث توجيه الدعوة إليه بالهجرة، وإنما حاولوا الاستفادة منهم في مواطنهم الأصلية، باستراتيجية "الذئاب المنفردة", ولهذا حديث شيق أبثه قريبا بتوسع.

لكن استراتيجية الدولة الإسلامية خالفت ذلك المبدأ القاعدي، بعد أن أنشأت لنفسها كيانا جامعا، واتجه فكر مخططيها لتوجيه رسائل شرعية وفكرية متتالية للعنصر الأعجمي بالهجرة.
فكان لهذا أثر بالغ عليها، خاصة مع الاستجابة التي لم تكن متوقعة في ظل الأوضاع الإسلامية الحالية، ويشكل هؤلاء نواة لإحياء النموذج المملوكي القديم، مع عدة فروق يسهل تبينها:

1- ولاء المماليك القدامى كان يتمحور حول الأمير أو السلطان المستجلب لهم، بعكس من يمكن تسميتهم بالمماليك الجدد، فولاؤهم يتمحور حول فكرة الدولة، ثم فكرة الخلافة.

2- الفرق المملوكية القديمة كانت كتلا متماسكة، من نفس الموطن عادة، ثم التنشئة العسكرية التي كانت على هيئة فرق كما في مدارس "الطباق" المملوكية والتي جعلتهم (شوكة جماعية)، مما دفع المسيري لإدراجهم في نموذجه "الجماعات الوظيفية القتالية" وضرب لهم مثلا بالساموراي والمماليك والإنكشارية والجنود السويسريين.



وكان عامل التماسك -مع عوامل أخرى- يدفعهم دائما للعصيان والتمرد كما في حالة الإنكشارية، أو يجعلهم طبقة عسكرية حاكمة كما في حالة المماليك البحرية والبرجية.

لكن المماليك الجدد الذين استجلبتهم الدولة بأيدولوجيتها ليسوا كتلا متماسكة من حيث الموطن، فهم من بلاد شتى كأمريكا ودول أوروبا، فلن يكونوا شوكة جماعية، على الأقل في المدى المنظور القريب، إن صمدت التجربة لعواصف النظام العالمي، وكذلك نثر الدولة لهم في أماكن انتشارهما المختلفة مما يضعف عملية تكوين العصب والكتل المملوكية بداخلها.

3- انبتات المماليك القدامى عن الواقع الذي جلبوا له كان من أسباب تماسكهم التنظيمي، ومما يعين على التكتل العسكري، بعكس ما لو تفرقوا على مذاهب سياسية وفقهية.. إلخ، فكان الغرق في مستنقع الخلافات سيكون كفيلا بتفتيتهم.

وكذلك المماليك الجدد، ضمن لهم انبتاتهم عن الواقع الإسلامي الشرقي عدم الدخول في تيارات الخلاف الإسلامي/ الإسلامي، فلم يكونوا متشربين لأي أيدولوجية في بلادهم، أو على الأقل كان تشربا ضعيفا بحكم الواقع الغربي شديد الجاهلية وعائق اللغة.

وكذلك ضمن لهم سرعة تقبل أي أيدولوجية فكرية وحركية وسياسية وشرعية، بحجم فكرة (الخلافة) وهي الفكرة التي اجتمعوا حولها ويدينون لها بالولاء.

وأيضا كان عامل النشأة والواقع الغربي الإلحادي، الذي يصادم الفطرة قبل الشرع، مع انعدام اللغة العربية، مع ضعف العلم الشرعي أو انعدامه مما يسهل عملية التمحور حول فكرة الخلافة والولاء لها والتحمس في سبيلها، والشراسة في القتال لأجلها، ربما أكثر من بعض الجهاديين العرب داخل الدولة الإسلامية نفسها.

وكذلك من الاستراتيجيات التي تستحق الدراسة عند تنظيم الدولة: استراتيجية الرعب أو استراتيجية رد الفعل المتسلسل وقد أفاض في شرحها روبرت جرين في "33 استراتيجية":

والتي تقوم بزرع القلق والذعر والخوف في الخصم، لتشده عن المقاومة، أو لتكفه عن الهجوم، أو لتكوين سمعة عسكرية.

ممارسة أعمال عنيفة متسلسلة غير اعتيادية = يتسبب بأقصى قدر من الفوضى والاستفزاز، وتأتي برد فعل



غير مدروس، أو يكون سمعة تتركز في مخيلة الخصم.

وعبر وسائل الإعلام الالكترونية الحديثة، تقوم الدولة بخلق الوهم في كل مكان،، فيظهر أنها أقوى بكثير مما هي عليه في الواقع، وهذه براعة ومهارة فائقة.

وتنتقل الشائعات وينتشر القلق، وتسيطر تدريجيا على الواقع المستهدف.

ومع تضخم المخيلة المذعورة = يصبح الحجم يفوق حجمه الطبيعي بمرات، فيبدون قادرين على فعل أي شيء.

تكرار القتل عن طريق ذبح الخصوم بالطريقة التي رأيناها، ثم حرق الطيار الأردني، بطريقة درامية رمزية وغيرهما = أمثلة لهذه الاستراتيجية.

وقد استخدمت في كل الحروب، ومن كل الدول والامبراطوريات، الإسلامية والجاهلية، فقد كان المرابطون مثلا بعد حربهم دوما، يجمعون رؤوس القتلى الكفار، ويصعد فوقها أحدهم ويؤذن!

بغض النظر عن حكم الفعل شرعا، تخيل ماذا يمكن أن يحدث لخصومهم عند معرفتهم بوقوف رجل فوق 5 آلاف جمجمة مثلا ويؤذن..!

ويمكن ضرب أمثلة للاستراتيجية:

قديما بالاغتيالات المتسلسلة التي قام بها الاسماعيلية للسيطرة على شمال فارس، أو حتى التمركز وسط مجتمع معادي.

وحديثا حادثة 11 سبتمبر، وردود الفعل المتسلسلة عليها، ولكثير من المنظرين الغربيين كلام رائع حول الحادثة، رغم اعتبارهم أصحابها ارهابيين.

من سلبيات هذه الاستراتيجية:

1- من كثرة التكرار تصبح أقل تأثيرا بحكم العادة.

فخلال الحرب العالمية الثانية، حين قصف الألمان لندن، لاحظ علماء النفس أنه حين يكون القصف منتظما متواترا = يصبح السكان خدرين تجاهه، يعتادون على صخبه وحتى على مقدار ما يسفكه من دماء، بعكس حالات القصف العشوائي، يتحول القصف إلى رعب.

2- لها رسالة سلبية على جماهير الشعوب المسلمة، غير المعتادة على شكل الدماء، مع قوة تأثير الآلة الاعلامية الجاهلية الرهيبة للأنظمة.



فالتركيز المستمر على هذه الاستراتيجية، دون توازن مع استراتيجيات الحرب الأخرى = يقوم بتوسيع الهوة الفاصلة بين التيار الجهادي ككل وبين عموم المسلمين، وعموم أهل لا إله إلا الله هم المخزون البشري والقاعدة السياسية الحقيقية لأي حركة تريد إخراجهم من سجون النظام العالمي وتحكيم شريعة الله.

3- الاهتمام بتقنيات التصوير العالية جدا والإفراط في الجرافيك, مقارنة برسائل الدولة الأخرى التي لا تبثها بنفس الطريقة والاهتمام كمشاهد توزيع الطعام والأدوية، والتي كان عليهم لإنجاح مشروعهم التركيز الضخم عليها وعلى أمثالها، لكونها تحمل معاني مضادة لما يشاع عنهم =

يسلط العدسة تلقائيا على معنى واحد فقط، وهو ما يظهر بالنقطة الرابعة.

4- فإن معنى الهيبة والقوة سيطر بشكل زائد عن الحد على عقليات مخططي الدولة، حتى ذهبت جملة من المعاني الأخرى أو كادت.

فمثلا الاستعجال في إعدام الطيار، أو رفض تمديد التفاوض حوله، والاستعجال في قتل النصارى بليبيا = راجع لملاحظة المخططين لمعنى الهيبة فقط، والذي هو فعلا من لوازم معنى الدولة والسلطة، لكن مع جملة غيره من المعاني.

لكن حركة طالبان ظلت تفاوض الأمريكان خمس سنوات بأسير واحد، وأخرجت عددا من كبار الحركة، وهذا الموقف أوسع أفقا وسياسة من موقف الطيار.

****



الفصل الرابع

في ذكر بعض مظاهر الغلو عند الدولة



الفصل الرابع

في ذكر بعض مظاهر الغلو عند الدولة

قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أُخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر

ابن القيم (رحمه الله) – طريق الهجرتين

كيف تسرب الغلو..؟!

قال أبو مصعب السوري في "الدعوة":

(كما سبق وعرضت، فإن التيار الجهادي مر فكرياً بمرحلتين بشكل عام:

أ - المرحلة الفكرية الحركية **ب** - مرحلة الفكر الجهادي السلفي.

وقد ذكرتُ كيف أن المرحلة الثانية قد أكملت الثغرات العقدية والفقهية التي كانت قائمة في الفكر الجهادي، وذكرت إيجابيات ذلك التكامل.

ولكنني هنا أشير إلى أن تلك الإيجابيات قد صاحبها في بعض الأحيان سلبية كبيرة، من خلال سوء التطبيق لدى بعض الجماعات أو الأفراد، في بعض التجارب.

مما أدى إلى جنوح بعض شرائح الجهاديين إلى مستويات من التشدد والتطرف في الطرح العقدي والفقهي السياسي الشرعي.

وجعل بعض أدبيات مناهج الجهاديين تحتوي على تعميمات وقواعد عقدية، صارت مع توافر عوامل الجهل والحماس والضغوط النفسية لدى بعض الجهاديين متكأً لأفكار "تكفيرية" تجاوزت الضوابط التي قام عليها الفكر الجهادي.

ولا أقول هنا أن الفكر الجهادي قد مزج بالفكر التكفيري، لا.. وإنما أقول أن تلك الطروحات من مثل بعض رجالات التيار الجهادي السلفي، أو الذين لحقوا به من بعض العلماء أو طلاب العلم المرموقين كانت إما شديدة ومتطرفة، وإما صيغت بشكل عموميات جعلت بعض المتأخرين من الجهاديين يجنحون إلى التجاوز والتوسع في التكفير.

كما جعلت بعض المنتمين إلى (التيار التكفيري) يعتمدون تلك النصوص متكأً لهم، ويستشهدون بأقوال أصحابها في كتاباتهم.

مما جعل الهامش في تلك المواضيع بين (الفكر الجهادي) و (الفكر التكفيري) رقيقًا).

وقال أيضا:

(إن بعض الجهاديين ورؤوس طلاب العلم منهم أو من اللاحقين بهم = جروا الوسط الجهادي للدخول في حالة



من الشجار مع تلك الأوساط الإسلامية والمتدينة، و اشترطوا شروطًا تعتبر قياسا لأحوالهم "تعجيزية".
وغدت عائقا حقيقيا في التعامل معهم ودعوتهم للجهاد، وقد لعب هذا دوراً كبيراً في إفقاد التيار الجهادي شعبيته وجعله نخبوياً.
وأدخلت كثيراً من شرائحه وشخصياته في معارك جانبية، طبقوا فيها قواعد الولاء و البراء على كثير من المسلمين، متبرئين منهم بدل أن يستوعبهم التيار الجهادي في صف واحد، أو على الأقل في حلف واحد ضد أنواع الصائلين لدفعهم، أو على الأقل جعلهم في دائرة الحياد.

ولكن كثيراً من الجهاديين بسبب هذا المنحى المنهجي ضاقت صدورهم بذلك، وأفسد الكثير منهم علاقات ومصالح كان يمكن أن تدفع بالأمة قدمًا بشكل أفضل نحو أداء فريضة الجهاد. وذلك بسبب عدم استصحاب الواقع، وفقه الأولويات والمصالح والمفاسد، في فقه حركتهم الذي اتسم بكثير من الجمود مع النصوص، وتطبيقها في غير واقعها.

وأذكر أني دخلت في كثير من المساجلات والمحاورات مع بعض الجهاديين من بعض القيادات والقواعد، مؤكداً لهم ضرورة الجمع بين كوننا من السلفية الجهادية، وعلى منهج السلف الصالح، وبين كوننا محتاجين أن نترفق بالمسلمين ونجاهد معهم، وندعوهم للجهاد معنا على ما هم عليه من المذاهب الفقهية والعقدية التي هي في النهاية ضمن دائرة أهل السنة والجماعة.
ولكن وللأسف، فإني كثيراً ما كنت أكتشف أننا في واد، و إخوتنا هؤلاء في واد آخر).

وقال أيضا:
(لما تتحول المعركة تدريجيا من معركة مع الحكومة ومن وراء الحكومة من القوى الخارجية، إلى معركة مع هذا الشعب فساقه ومنحرفيه ومبتدعته وعلمائه ومدارسه المذهبية، أو حتى على صعيد الطرح والشعار = فاعلموا أننا أصبحنا قلة معزولة عن الناس، لا أدري على ماذا تقاتل، ولماذا تقاتل، ولماذا خرجت!
الآن أصبح كثير من الألفاظ الشرعية المحببة لنفوسنا كسلف وسلفية بمبادئها الصحيحة، أو كلمة بدعة ومبتدعة بمفاهيمها الفاسدة، صارت من كثرة ما استخدمت بطريقة ممجوجة= لم نعد نحب سماعها!
تجلس في المجلس، فلا تسمع إلا: ارتد يرتد فهو مرتد، كفر يكفر فهو كافر، ابتدع يبتدع فهو مبتدع.
المصيبة أن الذين يخوضون في هذا الكلام حملوا السلاح، ويمكنهم إذا نزلوا للناس أن يطبقوا هذه المفاهيم، تفتح شرا على أمة محمد لا ترضي أخيرا إلا كلينتون). اهـ.



وفي أواخر التسعينات ظهر كتاب اسمه (<u>كشف شبهات المقاتلين تحت راية من أخل بأصل الدين</u>) ويقصد الكاتب بمن أخل بأصل الدين: حركة طالبان، وحركة حماس، وراية الإخوان المسلمين والطليعة المقاتلة إبان الجهاد ضد حافظ الأسد (1979-1982)، والحركة الإسلامية في كردستان..!

فاتهمهم بالكفر والردة، وحذر من القتال تحت رايتهم، كما نراه الآن من بعض الجهلة المغالين وتصدى له اثنان من الأكابر، وهما: أبو مصعب السوري في كتابه (أفغانستان والطالبان ومعركة الإسلام اليوم), وأبو قتادة الفلسطيني في كتابه (جؤنة المطيبين)، وقدم له الشيخ أبو محمد المقدسي.

بالطبع لا يقر السوري والفلسطيني انحرافات وتقصير هذه الحركات والجماعات، لكنهما شددا النكير على تلك العقول الحدية، التي لا ترى إلا الأبيض والأسود، ولا يعرفون مثلا من الولاء إلا الكفر الأكبر، ويجهلون مراتبه المتعددة.

الرجل الذي كتب قديما "كشف شبهات المقاتلين" يقال أنه أحد منظري تنظيم الدولة الآن وهو أبو أيوب البرقاوي، والذي بث فيهم من غلوه ما شاء الله، ولقد كنت أنتظر تكفيرهم لأبي مصعب وأترقبه، حتى كتب كاتبهم سسلسلة "طمس الرموز - أبي مصعب السوري" وكفر الشيخ فيها واتهمه بشنائع، عامله الله بما يستحق.

وقد تجاوز الوضع ما قاله وظنه أبو مصعب, وربى عليه بكثير جدا.

ومن الأعاجيب أن من أهم مرجعيات الدولة في قضية الأسماء والأحكام سيد إمام وكتابه "الجامع في طلب العلم الشريف"..!

فهذا الرجل غير موثوق العلم، ولا أدري كيف يحكم بحسن كتابه من لم يشم رائحة العلم يوما، ولا طالع دواوين الإسلام الكبرى ليقيس عليها كتب المتأخرين..؟!

وهاك بعض طاماته:

فالرجل لم يحدد ما هو "المناط المكفر" في الموالاة، فضلا عن كيفية تنقيحه.

ولا يفرق بين التحالف والموالاة والاستعانة. ثم هو لا يفرق بين الاستعانة بالكفار على قتال الكفار، وبالكفار على قتال البغاة، وبالكفار على قتال المسلمين.

ثم هو في المسألة الأخيرة: لا يفرق بين أن تكون يد المسلمين هي الغالبة والكفار تبع لهم، وأن يكون حكم الكفار جاريا عليهم، وأن يكونا متساويين.

ثم لا يفرق بين الاستعانة بآحاد الكفار، أم بكيانات الكفار، ثم لا يفرق بين الاستعانة بشخوصهم، والاستعانة



بأسلحتهم وأموالهم.

أما عن الخلط في فهم مصطلحات المتقدمين، وتركيب ذلك على غير الوجه الذي أرادوه = فحدث ولا حرج.

فالرجل خطّأ ابن القيم وابن أبي العز الحنفي وكذلك الشيخ محمد إبراهيم آل الشيخ في مسألة من مسائل الحكم بغير ما أنزل الله، وهي:

في الذي يقر بالشرع الشريف إجمالا، لكنه لم يحكم به لهوى في نفسه فلا يكفر. اعتبر سيد إمام ذلك زلة منهم وخطأ، وهذه من المسائل التي تعقبه فيها المقدسي في "النكت اللوامع".

وفي هذه المسألة ذاتها رمى سيد إمام الشيخ الأسير عمر عبد الرحمن بالإرجاء..!! ويا للعجب.

ثم إن الرجل مضطرب غاية الاضطراب في مناط التكفير للذي يحكم بغير ما أنزل الله، فتارة يدندن حول مطلق الترك لحكم الله، ومعلوم أن لفظة الترك تشترك فيها المعصية والتولي الكفري، وتارة يجعل مناط الكفر هو الامتناع، كما في قوله ص870: (والامتناع هو سبب كفر مانعي الزكاة)..!! وبناء عليه، اضطرب في الحاكم والقاضي الذي يحكم بغير ما أنزل الله عصيانا واتباعا للهوى والظلم، فجعله مكفرا وساق الأدلة على قوله.

ثم رجع وقال بعد سرد قصة أول قاض ظالم وهو بلال بن أبي بردة التي نقلها من كتاب "الأوائل" لابن أبي شيبة، قال: (وبمثل هذا الجور يكفّر الخوارج)..!

فنقض ما أسسه من قبل.. فرجل كهذا، هل يوثق بعلمه أصلا..؟!!

- ومن أبرز مظاهر الغلو المفرط عند "الدولة" قضية تكفير المتوقف في تكفير الفصائل في سورية!

هم تجاوزوا تكفير الفصائل بمراحل كثيرة إلى أن وصلوا إلى كفر من لم يكفرها, ولله في خلقه شئون.

فقد قال المكتب المركزي لمتابعة الدواوين الشرعية" التابع للدولة الإسلامية في بيان رقم (175) بتاريخ 25 / 08 / 1437 هـ، في حكم المتوقف في تكفير "النصرة" والفصائل المقاتلة معها في سوريا:

"وإن الدولة الإسلامية أظهرت بما لا يدعُ مجالاً لكل مشككٍ حكم الشرع في تلك الفصائل، وأنها طوائف مرتدّةٌ أعلنت الكفرّ وتبيّن حالها بما يقيم الحجّة ويقطع الشكّ عند كل جاهل به، ومن ذلك تعميم اللجنة المفوّضة الصادر برقم (ن7-21) في 8 / ربيع الأول / 1437، لذا فلن يُقبل أن يظهر بين جنودنا من يتوقف في تكفير أعيان هؤلاء الذين نقاتلهم ويقاتلوننا على شريعة الله، فمن ظهر منه - من جنود الدولة - عدم تكفير هذه الفصائل فيُرفع أمره إلى أمير مِفْصله ليُستدعى ويُتثبّت مما نُسب له، ويُبيّن له حال هذه الفصائل إن كان يجهلها، فإن توقف بعد البيان فيُحال إلى القضاء لاستتابته" ا.هـ.

وقالوا :

"إن المتوقف في تكفير المشركين (المنتسبين للإسلام) مرتكب لناقض مُجمع عليه، وكُفرهُ مبنيٌ على قيام



الحجة في المسألة".

بناء على ذلك التنظير الأعوج فكل من عذر فصيلا من هذه الفصائل بأي شيء عذره به من تأويل أو جهل أو غيره = فهو كافر مرتد.

لاحظ مرة أخرى .. نحن تجاوزنا مرحلة تكفير الفصائل إلى تكفير من لم يكفرها. أي: تكفير المتوقف في تكفير المشركين! من هم المشركون..؟! جماعة الإخوان مذ خلقها الله, وكل فروع تنظيم القاعدة في كل العالم, وكل جماعات الشام بكل أطيافهم .. إلخ.

هؤلاء المشركون (المسلمون) قامت عليهم الحجة بالدولة, وأنت ما زلت متوقفا في تكفيرهم, وهذا ناقض مجمع عليه, فأنت كافر مثلهم.

وهذه بدعة جديدة اخترعوها من كيسهم لم يقل بها أحد من القرون المفضلة قط. فقد اعتبروا أنفسهم أقاموا الحجة التي يكفر تاركها, ولم يعد هناك مجال لأي عذر بأي شكل من أي بشر, ثم اعتبروا ذلك مبيحا لتكفير ملايين البشر بل مئات الملايين ممن لا يكفر هذه الفصائل!

سأعرض عليك منهج السلف المخالف لذلك الهراء تمام المخالفة لتحكم بنفسك:

فبفرض أن الأفعال والأقوال التي كفروهم بها هي كفر فعلا = فمن أين لهم أن الحجة قد قامت بهم بحيث يكفر كل من خالفهم..؟!

قال شيخ الإسلام في "مجموع الفتاوى" (346/23):

(الأقوال التي يكفر قائلها، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده، ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ، فإن الله يغفر له خطاياه كائناً ما كان، سواء كان في المسائل النظرية، أو العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وجماهير أئمة الإسلام).

وقال :

(وقد يكون الرجل لا يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها ، وإن كان مخطئا).

- وقال **ابن القيم** في "طريق الهجرتين" ص 414:

(**قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون**



زمان، وفي بقعة وناحية دون أُخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر).

فمسألة إقامة الحجة مسألة اعتبارية لا يمكن البت فيها, وقد يكون المخالف له من الدلائل والحجج والبراهين ما يعارض به ما تقول إن كان ما قالوه حقا .. فكيف وهو باطل.

اقرأ هذا الكلام النوراني لشيخ الإسلام ابن تيمية في (الجهمية)، وأنزله على واقعنا الحالي، بصرنا الله وإياك بالحق .. قال الشيخ كما في "مجموع الفتاوى" (220/3):

(**إنهم يخالفون ما اتفقت عليه الملل وأهل الفطر السليمة كلها، لكن مع هذا قد يخفى كثير من مقالاتهم على كثير من أهل الإيمان حتى يظن أن الحق معهم، لما يوردونه من شبهات ويكون أولئك المؤمنون مؤمنين بالله ورسوله باطنا وظاهرا، وإننا التبس عليهم واشتبه هذا، كما التبس على غيرهم من أصناف المبتدعة= فهم ليسوا كفارا قطعا، بل قد يكون منهم الفاسق العاصي، وقد يكون منهم المخطئ المغفور له، وقد يكون معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه به من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه.**

وأصل قول أهل السنة الذي فارقوا به الخوارج والجهمية والمعتزلة والمرجئة= أن الإيمان يتفاضل ويتبعض، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يَخرُجُ من النارِ من كان في قلبِهِ مثقالُ ذرةٍ من إيمان"، وحينئذ فتتفاضل ولاية الله وتتبعض بحسب ذلك).

يقول الإمام أن من المؤمنين من يتبع الجهمية ويكون فاسقا عاصيا, ومنهم من يكون مخطئا مغفورا له, بل قد يكون وليا لله بقدر إيمانه وتقواه! وما ذلك إلا لأنه التبس عليه الحق بسبب شبهاتهم.

فعذره في أصل الاعتقاد كما ترى.

فإذا كان بعض هؤلاء الجهمية قد يكون فاسقا أو عاصيا أو حتى مؤمنا وليا = فهل يتصور من الشيخ أنه قد يخطر بباله تكفير من لم يكفرهم..؟!

وقريب من ذلك تكفير طوائف من أهل العلم للحلاج وكذلك لابن عربي, فهل يكفر من امتنع عن تكفيرهم من العلماء وتأول لهم بأي وجه كان؟ فقد كتب السيوطي مثلا "تنبيه الغبي في تبرئة ابن عربي" ردا على البقاعي, فهل يدور بخلد أحد أن السيوطي أو غيره يكون كافرا لأنه لم يكفر الكافر..؟! سبحانك هذا بهتان عظيم

وفي مقالة شيخ الإسلام المشهورة:

(كنت أقول للجهمية النفاة: أنا لو قلت بقولكم لكفرت لأني أعلم أن قولكم كفر وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال).



شيخ الإسلام يعذر الجهمية النفاة -والذين يدخل فيهم الحلولية- بالجهل..! ماذا يقول منظرو الدولة في هذا..؟! هو يعذر أناسا بالجهل في أصل الاعتقاد كما ترى.

فإذا كان هؤلاء معذورين لجهلهم = فهل يتصور من الشيخ أنه قد يخطر بباله تكفير من لم يكفرهم..؟!

وقال الشيخ في "منهاج السنة" (452/2) بعد أن ذكر الإسماعيلية قال:
(والإمامية الاثنا عشرية خير منهم بكثير فإن الإمامية مع فرط جهلهم وضلالهم فيهم خلق مسلمون باطنا وظاهرا ليسوا زنادقة منافقين لكنهم جهلوا وضلوا واتبعوا أهواءهم وأما أولئك فأئمتهم الكبار العارفون بحقيقة دعوتهم الباطنية زنادقة منافقون وأما عوامهم الذين لم يعرفوا باطن أمرهم فقد يكونون مسلمين).

يقول الشيخ أن من الرافضة خلقا مسلمين باطنا وظاهرا لكنهم جهلوا, ولا يرى كفرهم = فهل كان من الممكن أن يخطر بباله تكفير من لم يكفرهم..؟! هذا أبعد من الخيال.

بالمناسبة : من العلماء من لم يكفر الإمامية وعذرهم مع تضليله لهم كالغزالي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن حجر الهيتمي والدسوقي وغيرهم, فهل يكفر كل هؤلاء لأنهم عذروا أناسا في أصل الاعتقاد ولم يكفروهم ومن لم يكفر الكافر فهو كافر..؟!

وقال الشيخ في "مجموع الفتاوى" (96/13):
(والخير والشر درجات فينتفع بها أقوام ينتقلون مما كانوا عليه إلى ما هو خير منه, وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم إلى بلاد الكفار فأسلم على يديه خلق كثير وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين وهو خير من أن يكونوا كفاراً".

وهذا ظاهر كالنقولات السابقة.
واحفظ هذا الكلام جيدا ففيه الخلاصة .. قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** "مجموع الفتاوى" (99/12):
(**وأما التكفير، فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقصد الحق فأخطأ= لم يكفر، بل يغفر له خطؤه. ومن تبين له ما جاء به الرسول، فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، واتبع غير سبيل المؤمنين= فهو كافر.**
ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق، وتكلم بلا علم = فهو عاص مذنب، ثم قد يكون فاسقا، وقد تكون له حسنات ترجح على سيئاته.
فالتكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشخص، فليس كل مخطئ ولا مبتدع ولا جاهل ولا ضال = يكون كافرا، بل ولا فاسقا، بل ولا عاصيا).



وأخيرا :

فإن النَفَس الرحموتي الذي كان غالبا على سلفنا = مفقود في تنظيم الدولة للأسف.

فتشعر من البيانات والتنظيرات أنهم يتمنون صدق توقعاتهم في من يخالفهم كأنهم يقولون بلسان الحال قبل لسان المقال (مش قلنا لكم).

ولو أخذنا شيخ الإسلام كمثال في ذلك فموقفه مع المخالف يثير العجب. انظر مثلا لموقفه من الأشاعرة الذين حاكموه على "الواسطية" وكفره بعضهم، يقول عنهم:

«وأنا والله من أعظم الناس معاونة على إطفاء كل شر فيها وفي غيرها، وإقامة كل خير. وابن مخلوف لو عمل مهما عمل والله ما أقدر على خير إلاَّ وأعمله معه، ولا أعين عليه عدوه قط، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هذه نيتي وعزمي. مع علمي بجميع الأمور، فإني أعلم أن الشيطان ينزغ بين المؤمنين، ولن أكون عونًا للشيطان على إخواني المسلمين» اهـ.

وكذلك موقفه من "البكري" و"الأخنائي"، وهما من الصوفية الذين يدعون لشد الرحال لقبور الصالحين والبناء عليها والاستغاثة بهم، ويناظرون على ذلك ويستدلون، وقد رد عليهما الشيخ في مجلدين كبيرين وأغلظ لهما.

ومع ذلك لم يكفرهما ولم يستحل دمهما، بل إنه أجار "البكري" في بيته لما طلبه السلطان! فأين هذا ممن يصرح بتكفير كل "القبوريين" أو "الديموقراطيين" بهذا اللفظ المجمل؟! بل ذهب مذهبا أبعد من ذلك وكفر كل من لم يكفرهم!

****



الفصل الخامس

تفصيل الكلام لقاعدة "من لم يكفر الكافر"



الفصل الخامس

تفصيل الكلام لقاعدة "من لم يكفر الكافر"

وأما من أحدث قولاً في الإسلام وأراد الناس عليه فلم يوافقوه فكفرهم, فهذا من أعظم الضلال

الإمام الشافعي

بالنسبة لفزاعة (من لم يكفر الكافر فهو كافر) التي تكثر جدًا في كلام مُنظِّري الدولة وأنصارها, فأكثرهم لا يفهمون القاعدة جيدًا, فضلا عن لوازمها ومقتضياتها ومدى صحتها وإشكالاتها والجواب عنها وما تجري فيه وما لا تجري فيه للأسف الشديد.

اسأل المستخدم لهذه القاعدة:

لماذا تكفر الجماعة الفلانية؟

يقول لك: لأنهم لم يكفروا الفصائل التي كفرت, ومن لم يكفر الكافر فهو كافر.

فقل له: فهل تعمل هذه القاعدة في المكفرات المختلف فيها كتارك الصلاة والساحر أم المكفرات المتفق عليها فقط؟

فإن قال بالأول لزمه تكفير الشافعي ومن وافقه, من الذين لا يكفرون تارك الصلاة.

وإن قال بل تعمل في المكفرات المتفق عليها.

فقل له: هل تعمل في المجمع عليه قطعيا أم ظنيا؟

وبأي الإجابتين أجاب فقل له: فهل كفر الفصائل كان بإجماع يستند لنص كتاب أو سنة أم بنظر واجتهاد؟

فإن قال بالأول تبين كذبه, وإن قال بالثاني ولا يسعه غيره فقل له: وهل وقع قط في شرعنا أو ديننا تكفيرٌ لمن لم يكفر من وقع في الكفر-إن سلمنا بأنه كذلك- لشبهة رآها أو مانع وقع له..؟

قال الشيخ في "الرد على البكري" ص256:

(وأما من أحدث قولاً في الإسلام وأراد الناس عليه فلم يوافقوه فكفرهم, فهذا من أعظم الضلال).

وهذه الجملة كأنها قيلت فيما ينظرون له من تكفير من لم يكفر الفصائل.



سأقوم ببسط كلام أهل العلم فيها ليتبين الصواب من الخطأ والحق من الباطل.
فنقول وبالله نستعين وبه نتأيد:

-1 قد وردت هذه القاعدة في كلام سلفنا كثيرا, وهي مروية عن سفيان بن عيينة وأبي خيثمة وأبي بكر بن عياش وسلمة بن شبيب وأبي زرعة وأبي حاتم الرازيين وغيرهم, وذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية فمن بعده, بألفاظ مقاربة, وهي ترجع في أصلها إلى الأدلة التي فيها كفر المكذب والجاحد.

ولذلك قال بعض العلماء:
الأصل في هذه القاعدة ليس من جهة ملابسة الكفر قولاً أو فعلاً، بل من جهة رد الأخبار وتكذيبها، فمن ترك الكافر بلا تكفير كان هذا منه تكذيباً بالأخبار الواردة في تكفيره.

وقال بعضهم:
هذه القاعدة تستعمل في تأكيد الكفر الواضح الجلي الذي هو مثل كفر اليهود والنصارى أو أشد وأوضح بحيث أن الممتنع عن تكفيرهم يكون كالمكذّب بنص شرعي قطعي الدلالة.

-2 بعد التتبع والاستقراء لسياقات هذه القاعدة يظهر أنها من جنس نصوص الوعيد التي يجوز إطلاقها, مع مراعاة البحث في الأهلية والشروط والموانع والقرائن عند التعامل مع الأعيان أي: التفريق بين التكفير المطلق وتكفير المعين, كما في فتنة خلق القرآن وأفعال العباد وأجناس هذه المسائل.

-3 التكذيب والجحد لا يكون إلا بعد المعرفة, ولذلك فإن الجحد لا يذكر إلا بعد مجيء الآيات وبلوغها كقوله تعالى (فمن أظلم ممن كذب على الله وكذّب بالصدق إذ جاءه).

ولذلك قال بعض العلماء أن حقيقة هذه القاعدة وتفسيرها يكون على النحو التالي:

من لم يكفر كافرا بلغه نص الله تعالى القطعي الدلالة على تكفيره في الكتاب، أو ثبت لديه نص الرسول صلى الله عليه وسلم على تكفيره بخبر قطعي الدلالة؛ رغم توفر شروط التكفير وانتفاء موانعه عنده؛ فقد كذّب بنص الكتاب أو السنة الثابتة ومن كذب بذلك فقد كفر بالإجماع.



4- ولابد أن يعلم المستدل بهذه القاعدة أن فعل المكلف أو قوله لا يكون سببا صريحا للتكفير إلا بشرطين - كما ذكر صاحب "الثلاثينية" وغيره-:

الأول: أن يكون الدليل الشرعي المستدل به على ذلك = قطعي الدلالة على كفر الفعل أو القول.

الثاني: أن يكون القول أو الفعل (سبب التكفير) الصادر عن المكلف= صريح الدلالة على الكفر.

أي أنه مشتمل صراحة لا احتمالا على المناط المكفر، الوارد في النص الشرعي المستدل به على التكفير.

و(السبب) في اصطلاح الأصوليين: هو الوصف الظاهر الـ "منضبط" الذي يثبت الحكم به، من حيث أن الشارع علقه به.

ولذلك لم يجز التكفير بالأفعال والأقوال المحتملة، التي قد تعني الكفر وقد لا تعنيه = لأنها أوصاف غير منضبطة.

والوصف المنضبط لابد من النظر في أمور لتعيين دلالتها، وهل تحمل على الكفر الصريح أم تهدر، وهذا ما يسمى بـ (**النظر في المرجحات**)، وهي:

1- تبين قصد الفاعل أو القائل، وذلك بسؤاله عما أراد بذلك القول أو الفعل.

2- النظر في قرائن الحال المصاحبة للقول أو الفعل.

3- معرفة عرف المتكلم أو عرف بلده. أما الألفاظ أو الأقوال المحتملة غير الصريحة، فليست محل إجماع ولا اتفاق ولم يوجبوا التكفير بها أو القتل، إلا بعد التبين والتثبت والاستيضاح من فاعلها أو قائلها قال الشافعي في "الأم" (7/297): (**القول قوله في الذي يحتمل غير الظاهر، حتى لا يحكم عليه أبدا إلا بالظاهر**).

ولذلك لم يَقتل الرسولُ اليهوديَ الذي قال له: "السام عليك"، لأنه لم يصرح بالسب، وإنما قال قولا محتملا.

وقد عقد القاضي عياض في "الشفا" (2/224 - 230) فصلا في سبب عدم قتل الرسول لذاك اليهودي.

5- وبناء على ما سبق فما لم يصرح ويعترف المرء بمعرفته للنص المكفر ورده له، فلا يصح إلزامه بذلك، ومن ثم تكفيره وفقا لهذه القاعدة؛ فإن المسألة ساعتئذ تتحول إلى التكفير بالإلزام أو بالمآل.

6- أما إذا كان ذلك في الكفر الواضح الصريح الذي ثبت بالنص القاطع وعلم بالضرورة من شرع المسلمين ككفر اليهود مثلا, بحيث يكون المتوقف في تكفيرهم أو الممتنع عنه إما مكذبا أو يشك في النص الذي كفرهم به, فقد انتفى عنه الانقياد والاستسلام, لأن تلك النصوص من الواضح المستبين في شرعة رب العالمين.

7- قال بعض العلماء:

من كان كفرهم كفر تأويل، فامتنع من تكفيرهم لإشكال بعض أدلة الشرع عنده، أو كان ذلك من الأبواب التي يعذر الجاهل فيها، لأنها لا تعرف إلا من طريق الحجة الرسالية، أو أنه رد نصا من نصوص الشرع لعدم علمه به، أو عدم ثبوته عنده، ونحوهم ممن لا يكفرون إلا بعد إقامة الحجة عليهم والتعريف والبيان؛ فلا يجوز إطلاق هذه القاعدة فيمن أشكل عليه تكفيرهم، أو توقّف فيه أو امتنع عنه ما داموا ممن عندهم أصل التوحيد.

8- وقال بعض العلماء:

من لم يكفر المرتكب لناقض لشبهة قامت عنده إما لاعتقاده أن الحجة ما قامت عليه أو أن الشروط ما توفرت فيه فهذا لا يكفر بالإجماع.

ومن لم يكفر من وقع في كفر -كالجهمية وأمثالهم- لبدعة عنده فهو لم يكفر الكافر لشبهة البدعة عنده فهذا لا يكفر بالاتفاق, لأنه لو كفر هذا = لكفرت جميع طوائف أهل البدع من المرجئة والأشاعرة والكرامية و السالمية إلخ ولا قائل بهذا أصلا.

ومن لم يكفر المختلف فيه سواء من النوع أو من العين كتارك الصلاة والساحر سواء بسبب أنه عمل من الأعمال أو بحكم الموازنة بين الأدلة = فهذا لا يكفر بالاتفاق.

ولأنه لو كفر هؤلاء لكفر الأئمة الأربعة وكفر أكابر علماء السلف كالزهري وغيره.. ولا قائل به.

9- نقل شيخ الإسلام ابن تيمية في "الفتاوى" (272/12) كلاما مهما للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام في هذا الباب أنه قال في الجهمية:

(ما رأيت قوما أضل في كفرهم منهم ، وإني لأستجهل من لا يكفرهم، إلا من لا يعرف كفرهم).

وقال البخاري في "خلق أفعال العباد" ص 19:

(نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس، فما رأيت أضل من كفرهم منهم -يعني الجهمية- وإني لأستجهل من لا يكفرهم إلا من لا يعرف كفرهم).

ولم يقل الإمامان (وإني لأكفر من لا يكفرهم).



10- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الفتاوى" (367/2) لما سئل عن "فصوص ابن عربي":

(أقوال هؤلاء شر من أقوال النصارى وفيها من التناقض من جنس ما في أقوال النصارى, ولهذا يقولون بالحلول تارة وبالاتحاد أخرى وبالوحدة تارة, فإنه مذهب متناقض في نفسه ولهذا يلبسون على من لم يفهمه.

فهذا كله كفر باطناً وظاهراً بإجماع كل مسلم ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين).

فهاهنا اشترط الشيخ قبل تكفير من شك في كفرهم شرطين وقيدين مهمين جدا:

الأول: معرفة أقوال هؤلاء الزنادقة (العلم بالواقع على ما هو عليه).

الثاني: معرفة الأدلة على كفرهم من دين الله (العلم بالدلائل الشرعية التي يراد إنزالها على هذا الواقع).

ومع ذلك فقد أطلق الشيخ هذه القاعدة في كفر وصفه بأنه (ظاهر بإجماع كل مسلم) كما في "الفتاوى" (223/2).

فهذه القاعدة لا تعمل إلا في أظهر أنواع الكفر وأبينها وبعد إقامة الحجة وبيان المحجة والتعريف, وكذلك لا تعمل إلا على المكذب أو الممتنع عن قبول نص صريح صحيح قطعي الدلالة ولذلك قيده بـ (معرفة دين الإسلام), وفي كفر صريح غير محتمل لشيء آخر.

وهذا راجع للنقطة الرابعة.

ومع كل ذلك فقد عذر الشيخ من لم يعرف مذهب الحلولية, ولم يستعمل عليهم القاعدة محل البحث, فقد قال كما في "الفتاوى" (222/2):

(أما الجهال الذي يحسنون الظن بقول هؤلاء ولا يفهمونهم، ويعتقدون أنه من جنس كلام المشايخ، العارفين الذين يتكلمون بكلام صحيح لا يفهمه كثير من الناس، فهؤلاء تجد فيهم إسلاما وإيمانا ومتابعة للكتاب والسنة بحسب إيمانهم التقليدي, وتجد فيهم إقرارا لهؤلاء وإحسانا للظن بهم، وتسليما لهم بحسب جهلهم وضلالهم).



11- يلزم القائل بهذه القاعدة بإطلاق : تكفير من لا يكفر تارك الصلاة من الفقهاء, فتارك الصلاة كافر ومن لم يكفر الكافر فهو كافر, وكذلك يلزمهم أن يكفروا من لا يكفر الساحر, ويلزمهم تكفير من لا يكفر أهل الأهواء كالمعتزلة والجهمية.

12- اختلف السلف في كفر الحجاج وقد قال ابن كثير في "البداية والنهاية" :

(وقد روي عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر كما قدمنا، فإن كان قد تاب منها وأقلع عنها، وإلا فهو باق في عهدته).

ومما ذكره ابن كثير في تكفيره:

قال يحيى بن عيسى الرملي عن الأعمش اختلفوا في الحجاج، فسألوا مجاهداً فقال: تسألون عن الشيخ الكافر.

وروى ابن عساكر عن الشعبي أنه قال: الحجاج مؤمن بالجبت والطاغوت، كافر بالله العظيم.

وقال الثوري عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال: عجباً لإخواننا من أهل العراق، يسمون الحجاج مؤمناً.

وقال الثوري عن منصور سألت إبراهيم عن الحجاج أو بعض الجبابرة فقال: أليس الله يقول: ألا لعنة الله على الظالمين.

وبه، قال إبراهيم: وكفى بالرجل عمى أن يعمى عن أمر الحجاج..!

ولم يكن يكفره عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ولا محمد بن سيرين وطائفة من السلف.

فلم يضلل بعضهم بعضا, وما كفر بعضهم بعضا, لأن هذا كان عن اجتهاد بل ما بدع بعضهم بعضا, بل ما هجر بعضهم بعضا, فضلاً عن التبديع فضلاً عن التكفير.

13- من ارتكب ناقضا صريحا مجمعا عليه كسب الله مثلا فإنه يكفر بذلك, ومن توقف في تكفيره بعد إقراره بأن السب كفر لقصور في علمه أو لشبهة عنده فإنه لا يكفر أبدا, لأنه لم يرد خبرا ولم يكذب نصا.

14- من لم يفقه ضوابط هذه القاعدة فسيقول بالتسلسل في التكفير ولابد.

الخلاصة:

هذه القاعدة لا تعمل فيما اختلف العلماء في عده من المكفرات كترك الصلاة وعمل السحر وأمثالهما, ولا فيمن امتنع من تكفير مسلم معين ارتكب ناقضا صريحا لشبهة رآها أو لفوات شرط وانتفاء مانع, ولا في المسائل التي تخفى على العامة, ولا التي تتوجه فيها الشبهة, أو التي نقل فيها إجماع ظني.



الفصل السادس

في سوء تعامل منظري الدولة مع المصطلحات المجملة ومباينته لطريق السلف



المرجعية المتجاوزة، في النظم التوحيدية، هي الإله الواحد المنزَّه عن الطبيعة والتاريخ، الذي يحركهما ولا يحل فيهما ولا يمكن أن يُردَّ إليهما

د.عبدالوهاب المسيري

الفصل السادس
في سوء تعامل منظري الدولة
مع المصطلحات المجملة ومباينته لطريق السلف

قال العدناني في خطبته "عذرًا أمير القاعدة":

"وأن تدعو المسلمين .... بنبذ الألفاظ والمصطلحات الدخيلة على المجاهدين؛ كالمقاومة الشعبية، والانتفاضة الجماهيرية، والحركة الدعوية، والشعب، والجماهير، والكفاح، والنضال وغيرها".

قلت: ما وجه مخالفة هذه الألفاظ للشريعة..؟ وإلا، فهم أنفسهم استخدموا لفظا علمانيا وهو "الدولة", وبنوا عليه أوصافا شرعية.

وما المقصود بلفظ (الدولة) الذي أطلقوه على أنفسهم..؟

"الدولة" في الاصطلاح المعاصر: هي تجمع سياسي يؤسس كيانا ذا اختصاص سيادي في نطاق إقليمي محدد ويمارس السلطة عبر منظومة من المؤسسات الدائمة, و بالتالي فإن العناصر الأساسية لأي دولة هي الحكومة والشعب والإقليم.

وعليه فالمصطلح (علماني) بامتياز, ويخالف مفهوم "الأمة" الشرعي مخالفة تامة, فلماذا استخدموا مفهوما "علمانيا", ثم حملوه بمضامين شرعية..؟!

فإن قالوا: نقصد بها مجموعة الإيالات التي تجتمع لتحقيق السّيادة "الشرعية" على أقاليم معيّنةٍ، لها حدودها، ومستوطنوها، فيكون الأمير على رأس هذه السّلطات حاكما بالشرع.

قلنا: فما الذي أحوجكم للفظ حادث, ولا يفتأ المتحدث الرسمي ينكر الألفاظ الحادثة كـ : "الثورة" و "الكفاح" و "النضال", فما الفرق..؟!

وأيضا : من الخلل الواقع لهم مع المصطلحات المجملة ما جاء في بيان الدولة في تكفير "الجبهة الإسلامية" والذي قد ارتكز على نقطتين اثنين:

1- أنهم يوالون الكفار. **2-** أنهم يصححون مذاهب الكفار بتبنيهم للدولة المدنية.



وقالوا: (من الثوابت عند أهل السنة والجماعة، أن الدعوة إلى إقامة حكومة "مدنية تعددية ديمقراطية"= عملٌ مخرج من ملة الإسلام، وان صام دُعاتها وصلوا وحجوا وزعموا أنهم مسلمون)..!

كذا في بيانهم.. ولي عدة وقفات مع المناط الثاني الذي كفروهم به -مع تأخير الكلام على هذا الإجماع الذي لا أدري من أين جاءوا به!

ضوابط أهل السنة مع المصطلحات المحدثة التي فيها إجمال:

1- قال شيخ الإسلام في "منهاج السنة" (2/130):

(وأما الألفاظ المجملة فالكلام فيها بالنفي والاثبات دون الاستفصال = يوقع في الجهل والضلال والفتن والخبال).

وقال ابن القيم في "شفاء العليل" (1/324):

(أصل بلاء الناس من جهة الألفاظ المجملة التي تشتمل على حق وباطل، فيطلقها من يريد حقها، وينكرها من يريد باطلها، فيرد عليه من يريد حقها).

2- (الدولة المدنية) لفظ مجمل يستعمل في كثير من الأوساط في مقابل عدة كلمات كالبداوة والعسكرية والدينية.. إلخ.

3- هذا المصطلح نشأ في أوروبا عبر كتابات الفلاسفة هناك مثل: ميكافيلي (1496-1527) وجان بودان (1530-1596) وتوماس هوبز (1588-1679) واسبينوزا (1632-1677) وجون لوك (1632-1704) ويحمل منظومتهم التفسيرية له ويجمعهم فيه: رفض المرجعية المتجاوزة للدين والوحي، والإبطال المطلق لتدخله في شئون الحياة.

يعرف **د. عبد الوهاب المسيري** (المرجعية المتجاوزة) في موسوعة "اليهود واليهودية والصهيونية" بقوله:

(هذه النقطة المرجعية المتجاوزة، في النظم التوحيدية، هي الإله الواحد المنزَّه عن الطبيعية والتاريخ، الذي يحركهما ولا يحل فيهما ولا يمكن أن يُردَّ إليهما.

تختلف في هذا عن النزعات العلمانية المادية الطبيعية التي ترجع كل شيء إلى الطبيعة/ المادة وتنكر أي إمكانية للتجاوز الإنساني).



4- لكن بعض الكتاب المعاصرين من الإسلاميين استخدموا مصطلح (الدولة المدنية) بمفهوم مخالف للمفهوم الغربي أي: قاموا بتفكيك المصطلح وتحميله مضامين شرعية إسلامية، وقاموا بالتنظير لعدم تعارض الإسلام مع الدولة المدنية وقرروا أن: (الدولة الإسلامية دولة مدنية -لا ثيوقراطية دينية- تقوم على المؤسسات، والشورى هي آلية اتخاذ القرار والأمة هي مصدر السلطات= شريطة ألا تحل حراما أو تحرم حلالا).

أي أنهم قاموا باختراع مضمون جديد مغاير لمضمون المصطلح الأصلي، وأضافوا له إضافات أذهبت معنى المصطلح القديم، حتى لم تعد دلالة المصطلح على المعنى المكفر الذي يحمله = صريحة مفصلة، بل فيها لبس أو غموض يحتاج لتفصيل.

فمثلا قال القرضاوي عن الدولة في الإسلام وأنها دولة مدنية مرجعها الإسلام، وذكره للفروق بينها وبين الدولة الثيوقراطية:

(الحاكم في الإسلام مقيد غير مطلق، فهناك شريعة تحكمه، وقيم توجهه، وأحكام تقيده، وهي أحكام وضعها له ولغيره رب الناس، ولا يستطيع هو ولا غيره من الناس أن يلغوا هذه الأحكام أو يجمدوها فلا ملك ولا رئيس ولا برلمان ولا حكومة ولا مجلس ثورة ولا لجنة مركزية ولا مؤتمر للشعب ولا أي قوة في الأرض تملك أن تغير من أحكام الله القطعية الثابتة والدائمة شيئا).

وهذا المضمون الشرعي الذي تم تحميله للمصطلح بنظر العلمانيين = يحمل التناقض ولا يقبل، فهو يخالف عندهم لب المعنى الفلسفي الذي قصده واضعوه.

ولذلك اعتبر العلمانيون الإخوانَ وكل من استخدم مصطلح "دولة مدنية بمرجعية إسلامية"= مخادعين مغالطين.

5- وبناء على ما تقدم، فلفظ الدولة المدنية الذي يستخدمه هؤلاء المشايخ وغيرهم = لفظ مجمل فيه لبس وغموض.

فينبغي أن يسأل مستخدمه عن مقصوده منه قبل تكفيره، وهذا دأب العلماء في الألفاظ المجملة التي ابتدعها المتأخرون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "المنهاج" (4/554):

(الألفاظ التي تنازع فيها من ابتدعها من المتأخرين مثل لفظ "الجسم" والجوهر" و"المتحيز" و"الجهة" ونحو ذلك = لا تطلق نفيا أو إثباتا حتى ينظر في مقصود قائلها، فإن كان قد أراد بالنفي والإثبات معنى صحيحا



موافقا لما أخبر به الرسول صُوّب المعنى الذي قصده بلفظه ولكن ينبغي أن يعبر عنه بألفاظ النصوص، لا يعدل إلى هذه الألفاظ المبتدعة المجملة إلا عند الحاجة, وأما إن أريد بها معنى باطل نُفي ذلك المعنى، وإن جمع بين حق وباطل أثبت الحق وأبطل الباطل).

وقال في "النبوات" (2/878):

(والألفاظ المحدثة فيها إجمال واشتباه ونزاع).

ومن ثم فيصبح التكفير باستخدام هذا اللفظ المجمل دون استبيان قائله والمتحدث به= من التكفير بالمحتمل الدلالة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الصارم المسلول" ص517: (التكفير لا يكون بأمر محتمل).

6- وهذا مما ابتلينا به في هذا الزمان: التكفير بالمحتملات، أي: التكفير بالأعمال أو الأقوال محتملة الدلالة، دون النظر في قصد قائلها أو فاعلها.

فكما تقدم إن فعل المكلف أو قوله لا يكون سببا صريحا للتكفير إلا بشرطين:

1- أن يكون الدليل الشرعي المستدل به على ذلك= قطعي الدلالة على كفر الفعل أو القول.

2- أن يكون القول أو الفعل (سبب التكفير) الصادر عن المكلف= صريح الدلالة على الكفر. أي أنه مشتمل صراحة لا احتمالا على المناط المكفر، الوارد في النص الشرعي المستدل به على التكفير.

و(السبب) في اصطلاح الأصوليين: وصف ظاهر "منضبط" يثبت الحكم به، من حيث أن الشارع علقه به. ولذلك لم يجز التكفير بالأفعال والأقوال المحتملة، التي قد تعني الكفر وقد لا تعنيه= لأنها أوصاف غير منضبطة.

والوصف المنضبط لابد من النظر في أمور لتعيين دلالتها، وهل تحمل على الكفر الصريح أم تهدر، وهذا ما يسمى بالنظر في (المرجحات)، وهي:

1- تبين قصد الفاعل أو القائل، وذلك بسؤاله عما أراد بذلك القول أو الفعل.

2- النظر في قرائن الحال المصاحبة للقول أو الفعل.

3- معرفة عرف المتكلم أو عرف بلده. أما الأفاظ أو الأقوال المحتملة غير الصريحة، فليست محل إجماع ولا اتفاق ولم يوجبوا التكفير بها أو القتل، إلا بعد التبين والتثبت والاستيضاح من فاعلها أو قائلها.

قال الشافعي في "الأم" (7/297):

(القول قوله في الذي يحتمل غير الظاهر، حتى لا يحكم عليه أبدا إلا بالظاهر). ولذلك لم يقتل الرسولُ اليهوديَ الذي قال له: "السام عليك"، لأنه لم يصرح بالسب، وإنما قال قولا محتملا.

وقد عقد القاضي عياض في "الشفا" (2/224 - 230) فصلا في سبب عدم قتل الرسول لذاك اليهودي.



أما ما لا يحتمل إلا الظاهر، أي: صريح الدلالة على الكفر= فلا ينظر إلى نيته وقصده.

وقد قال حبيب بن الربيع المالكي: (ادعاء التأويل في لفظ صريح لا يقبل).. نقله عياض في"الشفا"، وشيخ الإسلام في "الصارم" محتجين به.

الخلاصة:

لا يجوز استعمال مصطلح "الدولة المدنية" ولا يجوز إطلاق نفيه أو إثباته كما قرره شيخ الإسلام في المصطلحات المجملة، والمستعملون له يسألون عن المعنى الذي قصدوه منه = فإن كان حقا قُبل منهم ولا يعبر عنه بهذا اللفظ، وإن كان باطلا رد عليهم المعنى واللفظ.

7- تنبيه:

لست ممن يستخدم هذه الألفاظ المجملة المحدثة، ففي ألفاظ القرآن والسنة الكفاية والهدى (فإنها تنتظم جميع ما يقوله الناس من المعاني الصحيحة، وفيها زيادات عظيمة لا توجد في كلام الناس، وهي محفوظة مما دخل في كلام الناس من الباطل) كما قال شيخ الإسلام في "النبوات".

وليس الخلاف في هذا، بل لب الخلاف: في تكفير قائلها ومستخدمها هكذا بإطلاق.

8- بالنسبة للإجماع الذي ساقوه مستدلين به على كفر من دعى للدولة المدنية = فإن للإجماع شروطا عند أهل العلم حتى يكون معتبرا:

1- أن يكون الإجماع مبنياً على مستند صحيح.

2- أن يتفق جميع المجتهدين على الحكم في زمن معين صراحة أو وجود أمارة على الرضا.

3- أن يقع الاتفاق من من أهل الاجتهاد الموصوفين بالعدالة ومجانبة البدع.

4- ثبوت صفة الاجتهاد في المجتهدين.

والألف واللام في المجتهدين للاستغراق، فيجب اتفاق جميع المجتهدين، ولا ينعقد الإجماع مع خلاف بعضهم، ولو كان المخالف واحداً.

المجتهدون: قيد يخرج به اتفاق غيرهم من العوام، فلا عبرة به، لا بوفاقهم ولا بخلافهم.

وعليه: فلا عبرة بإجماع طائفة معينة من العلماء, أو تلاميذ شيخ أو إمام معين, أو أصحابه كأصحاب مالك أو أصحاب أحمد أو غيرهم, فضلا عن غيرهم من المعاصرين.



-9 قال أحمد: "**لا ينبغي لأحدٍ أن يدعي الإجماع, لعل الناس اختلفوا**".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا محمول على إجماع من بعد الصحابة أو بعدهم وبعد التابعين, أو بعد القرون الثلاثة المفضلة.

وعندما ننظر لشأن الإجماع في وقتنا الحالي نجد أننا عندما نقوم بتطبيق تلك الشروط التي اشترطها الأصوليون في الإجماع = يصعب تصور وجوده جدا.

وبناء على ذلك, نقول:

أين هذا الإجماع الذي فيه تكفير كل من دعى لدولة مدنية؟!!

وأين المجتهدون الذين اجتهدوا وأجمعوا على هذا القول, وأين اجتهادهم وبحوثهم أصلا؟!!

وهل هو إجماع صريح أو سكوتي؟!!

وهل تأكدوا بعدم وجود مخالف لهم في هذا الإجماع الذي سيكفر مخالفه؟!!

-10 بالطبع لو طردوا أصولهم = لصرحوا بكفر ملايين المسلمين الذين يدعون لـ (دولة مدنية مرجعيتها الإسلام), بناء على أن تلك الدعوة من الثوابت عند أهل السنة كما يقولون, وقد صرحوا بهذا اللازم وكفروا جماعة الإخوان بمناطات هذا أحدها, ولله في خلقه شئون.

****



الفصل السابع

في إشكالات دار الكفر عند شرعيي الدولة



الفصل السابع

في إشكالات دار الكفر عند شرعيي الدولة

إن تجمعًا يفشو فيه التكفير (بالمجان) لا يمكن أن يستمر تماسكه ويبقى ترابطه
أبو يحيى الليبي

سألت إحدى الأخوات -أعرفها- شرعيا من الدولة عن حكم الإقامة في مصر، فرد عليها بجواب طويل ملخصه: أن أهل مصر أقل أحوالهم الفسق والضلال وقد يكفرون، لأنهم يقيمون في دار كفر باختيارهم!

وقال:

(لو كان هذا هو دينكم فنبرأ الي الله من دينكم, فلا نعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما نعبد, وإن قلتم هذا ليس ديننا بل لا نداري الكفار ولاندخل مدارس الطاغوت إذا أنتم في فسق وضلال, وهذا أقل أحوالكم, وكل هذا فرار من الموت ولقاء ربكم).

والجواب:

أن كلام هذا الشرعي فيه جهل وعمومات كثيرة جدا، ثم ينزل منها إلى الواقع بلا أي تفصيل أو فهم للأسف.

<u>أولا</u>: هذا الشرعي لا يفهم فائدة تقسيم الديار أصلا، واخترع منها مناطا جديدا جدا للأسف.

قال الشوكاني في "السيل الجرار":

(اعلم أن التعرض لذكر دار الإسلام ودار الكفر قليل الفائدة جدا، وأن الكافر الحربي مباح الدم والمال على كل حال، ما لم يؤمّن من المسلمين ثم قال: وأن مال المسلم ودمه معصومان بعصمة الإسلام في دار الحرب وغيرها).

قال صاحب "الثلاثينية":

يفرق الفقهاء بين دار الكفر الأصلية التي يغلب الفقهاء حكمها في حكمهم بالتبعية في بعض المسائل وبين دار الكفر الحادثة أو الطارئة، أي: التي كانت للمسلمين فغلب عليها الكفار، فإن الفقهاء يؤصلون فيها لمجهول الحال الذي لا سبيل إلى معرفة حاله -كالميت واللقيط والمجنون- = بالإسلام والعصمة احتياطا لحرمة المسلمين وعصمة دمائهم، ولو لم يبق فيها إلا مسلم واحد انظر مثلا: "روضة الطالبين" (5/434) للنووي.



والفائدة من التقسيم هي ما ذكرت لك، لا معرفة دين ساكني الدار تبعا لحكمها، فبهذا الاعتبار لا يترتب عليها كثير عمل.

وجميع أهل العلم تخرج من تتبع تعريفاتهم للديار وتقسيمها = بأن هذه اصطلاحات فقهية لا أثر لها في الحكم على من أمكن معرفة دينه من قاطني الديار، وأن من أظهر الإسلام ولم يأت بناقض من نواقضه الظاهرة= معصوم الدم والمال حيث كان.

ولذلك قال شيخ الإسلام في بلدة ماردين في الفتوى الشهيرة:
"وأما كونها دار حرب أو سلم فهي مركبة فيها المعنيان، ليست بمنزلة دار السلم التي تجرى عليها أحكام الإسلام، لكون جندها مسلمين، ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار، بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحقه، ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه".

الشاهد قوله: "يعامل المسلم فيها بما يستحقه" ولم يلحقه باسم الدار كما اخترع صاحبنا، أو يفسقه أو يضلله بمجرد ذلك.

ثانيا: مما ذكره ابن حزم -وهو مطابق لحالنا- في الإقامة بدار الكفر الطارئة، التي كانت مسلمة وتسلط عليها مرتدون، وأهلها إلى الإسلام منتسبون، قال كما في "المحلى" (13/138):
(وليس كذلك من سكن في طاعة أهل الكفر من الغالية ومن جرى مجراهم، لأن أرض مصر والقيروان (يشير إلى العبيديين) وغيرهما الإسلام هو الظاهر، وولاتهم على كل ذلك لا يجاهرون بالبراءة من الإسلام، بل إلى الإسلام ينتمون، وإن كانوا في حقيقة أمرهم كفارا.

وأما من سكن في بلد تظهر فيه بعض الأهواء المخرجة إلى الكفر= فهو ليس بكافر لأن اسم الإسلام هو الظاهر هنالك على كل حال، من: التوحيد، والإقرار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، والبراءة من كل دين غير الإسلام، وإقامة الصلاة، وصيام رمضان، وسائر الشرائع التي هي الإسلام والإيمان).

فغاية ما يكونه المتسلطون على بلاد الإسلام الآن أن يكونوا كالعبيديين، يعلنون الإسلام وهم كفرة في الباطن، ومع ذلك لم يكفر أحد من أهل العلم على مدار مائتي سنة وزيادة أهل مصر أو يفسقهم أو يضللهم، كما فعل هذا الشرعي.



قال أبو محمد المقدسي في "الثلاثينية":

(فقد اعتبر ابن حزم ظهور شرائع المسلمين من التوحيد والإيمان بالنبي وإظهار الصلاة والصيام، وانتساب الولاة والحكام للإسلام وعدم براءتهم منه -رغم كفرهم- مسوغا لإقامة المسلم بدار الكفر والحرب، ومعلوم أن هذا كله في ظل وجود دار إسلام حينها).

<u>ثالثا</u>: الأصل في كل منتسب للإسلام أو مظهر لخصائصه = الإسلام، ما لم يظهر سببا من أسباب الكفر، والأصل فيه أنه معصوم الدم والمال والعرض حيث كان، في دار إسلام أو دار حرب.

بعد ظهور الأسود العنسي في اليمن وغلبته على صنعاء، ارتد خلق معه، وعامله المسلمون هناك بالتقية - كما ذكر ابن كثير في "البداية والنهاية" (6/306)- فلم يكفروا ببقائهم في دار الردة بعد غلبة الكفار عليها، وعدم فرارهم، بل كان منهم فيروز الديلمي وأصحابه الذين ثبتوا حتى قتلوا عدو الله، وعادت اليمن دار إسلام ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، ولا قال أنهم كفروا ببقائهم في صنعاء وعدم فرارهم، إذ صارت دار كفر بتغلب الكفار عليها، وهذا مع وجود دار الإسلام وجماعة المسلمين.

وكذلك حال كل بلاد العالم الإسلامي بعد سقوطها بيد صليبي أوروبا فيما سمي بحقبة الاستعمار، وصارت ديار كفر لعشرات السنين، بعد أن كانت ديار إسلام، وجمهور أهلها مسلمون، ولم يقل أحد من العلماء أن حكم الكفر الذي أطلق على الدار والمتغلبين عليها قد شمل أهلها المستضعفين ولا حتى الفسق أو الضلال، كما اخترع هذا الشرعي.

قال الشيخ سليمان بن سحمان:

إذا ما تغلــب كافــر متغلب على ** دار إســلام وحل بها الوجــل

وأجــــرى بهـــا أحكــام كفر علانية ** وأظهرها فيها جهارا بلا مهـل

وأوهى بها أحكام شرع محمد ** ولم يظهـر الإسلام فيها وينتحـل

فذي "دار كفر" عند كــل محقـق ** كمـــا قــال أهل الدراية بالنحــل

وما كل من فيها يقال بكفره ** فرب امريء فيها على صالح العمل



وأخيرا: قال الشيخ أبو يحيى الليبي في رسالته للشيخ أبي عمر البغدادي:

"**وإن تجمعًا يفشو فيه التكفير (بالمجان) لا يمكن أن يستمر تماسكه ويبقى ترابطه.**

فلتتنبهوا –أيها الشيخ الكريم– لهذا الأمر تمام التنبه وأن تضعوا خطورته أمامكم وأن تحسبوا له ألف حساب ، فو الله ما من داء مزق الجماعات الجهادية وفت في عضدها ودمر كياناتها ويسر تسليط أعدائها عليها مثل داء الغلو، الذي عجز الجميع عن سد أبوابه، والذي تتشوف نفوس الشباب بطبيعة حماستهم إلى اقتحامه". اهـ.

****



الفصل الثامن

إشكالات حول مصطلح "الصحوات"



الفصل الثامن

إشكالات حول مصطلح "الصحوات"

انتشر هذا المصطلح مع مشروع ديفيد باتريوس مدير السي آي ايه في 2007 لما جند من عشائر العراق ما يقرب من مائة ألف، لمقاتلة المجاهدين.

انتشر هذا المصطلح مع مشروع ديفيد باتريوس مدير السي آي ايه في 2007 لما جند من عشائر العراق ما يقرب من مائة ألف، لمقاتلة المجاهدين. لكن تثور عدة تساؤلات حول المصطلح، نظرا للتخبط والخلط الذي حصل بتحميله مدلولات شرعية مختلفة.

1- ما هو حد (تعريف) الصحوجة..؟

إن كان يقصد بها الردة مطلقا، فلماذا يستعاض عن اللفظ الشرعي بمصطلح حادث، لا ينضبط غالبا..؟

أم يقصد بها البغي والعدوان والصيال على المسلمين، بغض النظر عن الردة..؟

أم تخصص بالتعاون مع أنظمة العمالة والخيانة، وكشف عورات المسلمين، والتجسس عليهم.؟ أم هو أعم من الردة باعتبار، وأخص باعتبار..؟

وما هو ضابط ذلك العموم والخصوص..؟

الخلاصة: هل (الصحوجة) تطلق عند مطلق الخلاف، أم عند الخلاف المطلق فقط..؟ فلكل مناط من تلك المناطات أحكام مختلفة.

2- هل يختص مصطلح الصحوات بالمقاتلين وحاملي السلاح، أم يمتد لغيرهم ممن لا يقاتل لكنه يعين، كنساء من يطلق عليهم صحوات (زوجاتهم)، فيجوز قتلهم..؟

هل الطفل الذي ينشأ في بيت أحد من يطلق عليهم الصحوات، بمجرد بلوغه يحل قتله، أم ماذا حكمه..؟

3- مع غلبة الجهل على عوام الناس، وعدم معرفتهم بحكم الأنظمة وجيوشها وشرطتها، وأحكام الولاء والبراء والطواغيت، وتلقي المعلومات عن الواقع من أجهزة إعلام الدولة الرسمية .. إلخ.

لو قام أحد هؤلاء العوام بالإبلاغ عن المجاهدين، فهل يعد بذلك من الصحوات..؟ هل يعد مناطا مكفرا بإطلاق، فيكفر بذلك ويهدر دمه أم فيه تفصيل، وما هو تكييفه الفقهي..؟



-4 في مناطق التمكين النسبي، لماذا تختلط أحكام البغي والخروج وقطاع الطرق والجاسوس المسلم والردة، فيحدث خلط بين تلك الأحكام، ويستدعى هذا لذاك..؟ ثم تخلط الأحكام المختلفة لهذه التكييفات والمناطات الفقهية، ليخرج فقه جديد تحت عنوان (الصحوجة)..!

-5 الأكراد من المسلمين السنة غير العرب، وفيهم أقليات صغيرة من اليهود والنصارى والأيزيديين.
فهل يصح تكفير الشعب الكردي السني كله، واستحلال دمه بناء على تأييده المزعوم لحكومته العلمانية في كل أفعالها، وينبذ كل كردي بأنه صحوجي كما رأينا..؟

وإلا فما هو ضابط استعمال لفظ الصحوات مع شعب بأكمله، الأصل فيه الإسلام، كالشعوب العربية المسلمة ؟

****



الفصل التاسع

في بيان خلل كلام
بعض الشرعيين حول البيعة للدولة



الفصل التاسع

في بيان خلل كلام بعض الشرعيين حول البيعة للدولة

من الأخطاء الشنيعة في التكفير في عصرنا حمل لفظ (الميتة الجاهلية) على الكفر المخرج من الملة!

أبو محمد المقدسي - الثلاثينية

هل يصح تكفير من لم يبايع إماما معينا استدلالا بحديث مسلم: "من مات وليس في رقبته بيعة مات ميتة جاهلية"..؟!!

قال المقدسي في "الثلاثينية":

من الأخطاء الشنيعة في التكفير في عصرنا حمل لفظ (الميتة الجاهلية) على الكفر المخرج من الملة..!

مع أنها لفظة غير صريحة على إرادة ذلك، بل هي محتملة = فوجب ردها للمحكم.

فمن نظر في نصوص الوحي وجد أن الباغي الخارج على جماعة المسلمين وإمامهم -بفرض وجودهم- لا يخرج بذلك عن الإسلام فقد قال تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) فسماهم مؤمنين مع البغي، فهذه قرينة صارفة للفظ الجاهلية الوارد إلى ما دون الكفر الناقل عن الملة، كالمعاصي والخصال الذميمة.

ووردت لفظة **الجاهلية** في اصطلاح الشارع مقصودا بها **المعاصي دون الكفر**، كقوله تعالي (ولا تبرجن تبرج الجاهلية)، والتبرج ليس بكفر, وكقوله صلى الله عليه وسلم "من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات ميتة جاهلية"، وترك الغزو بحد ذاته ليس كفرا بدليل قوله تعالى (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) فبين أن في القاعدين عن الجهاد بغير عذر مؤمنين.

وقديما في الثمانينات قال بعض الغلاة أن الميتة الجاهلية تعني الكفر، ودعوا المجاهدين لبيعة أميرهم، ومن لم يبايع= كفروه، بعد إقامة الحجة عليه بأنهم الجماعة الحق، التي لا يجوز مفارقتها شبرا..!

والحسين رضي الله عنه مات وليس في عنقه بيعة ليزيد، بل كان خارجا عليه هو ومن معه.

فيلزمهم إما أنه مات ميتة جاهلية فهو كافر -عياذا بالله-، أو يتركوا مذهبهم الذي أقاموا عليه أصلا من أصول جماعتهم.



وكذلك مخطيء من أثم كل من لم يبايع إمامه هو الذي بايعه.

فلو ألزمت نفسك ببيعة من تراه مستكملا للشروط، وسعيت للقتال حوله لتمكينه = فليس لك تأثيم غيرك ممن أداه اجتهاده إلى مخالفة ذلك، فضلا عن تكفيره.

****



الفصل العاشر

عن صراع الدولة مع الطالبان واتهامهم بالعمالة للمخابرات الباكستانية



الفصل العاشر

عن صراع الدولة مع الطالبان واتهامهم بالعمالة للمخابرات الباكستانية

ثغرة الصخرة وحرب الاسترداد

ألا تذكرون تلك المقالات والكتب والأبحاث القديمة التي كانت تتحدث عن عمالة أسامة بن لادن للمخابرات الأمريكية:

"أسامة بن لادن جندته المخابرات الأمريكية منذ الثمانينات."

"أسامة بن لادن لا يقيم في أفغانستان ولا باكستان أصلا."

"بن لادن يقيم في قصر خاص به في السعودية."

"بن لادن يخدم المصالح الأمريكية ويقاتل من أجلهم".

ثم يتكرر الأمر مرات تلو مرات حول شخصيات وجماعات أخرى، فقد قال مثلا شاب يقدم برنامجا تاريخيا على اليوتيوب اسمه "العظماء المائة" أظن في حلقة "كاتم سر الرسول ولغز الجاسوس الروسي" أن الدكتور الظواهري عميل روسي، وقال الكاتب الصحفي حسن أبو هنية في 2015 لما تولى الملا أختر منصور الإمارة أن الظواهري قد بايع المخابرات الباكستانية!

واليوم يتكرر الأمر مع الطالبان وعمالتها أو اختراقها من قبل الإيرانيين، فأريد أن أوضح بعض الأمور:

1- بعد سيطرة الطالبان على أفغانستان في 1996 تركوا لـ (قوات التحالف الشمالي) ثغرة صغيرة, تشبه "الصخرة" التي تركها المسلمون لما فتحوا الأندلس, ومنها بدأت ما سماه الأسبان بعد ذلك (حرب الاسترداد).

تحالف الشمال الأفغاني **Afghan Northern Alliance**، رسميًا يعرف باسم (**الجبهة الإسلامية المتحدة للإنقاذ في أفغانسان**)، كانت جبهة عسكرية تأسست في أواخر 1996 بعد سيطرة الإمارة الإسلامية الأفغانية (طالبان) على كابل.



الجبهة المتحدة كانت ممثلة بالقادة الرئيسيين في الدولة الإسلامية في أفغانستان، وخاصة الرئيس في المنفى برهان الدين رباني ووزير الدفاع السابق أحمد شاه مسعود.

في البداية كان معظم أعضائها من الطاجيك لكن بحلول 2000، انضم لتحالف الشمال قادة من جمعات عرقية مختلفة. منهم عبد الرشيد دوستم، محمد محقق، عبد القادر، السيد حسين أنوري وآخرون.

خاض تحالف الشمال حربا ضد حكومة طالبان, وحصلوا على دعم من إيران، روسيا، الهند، طاجيكستان وآخرين, بينما كانت طالبان مدعومة من القاعدة, والقوات المسلحة الپاكستانية فيما قيل, وكان معظم أعضاء تحالف الشمال من عرقية الطاجيك، لكن فيما بعد تضمن أوزبك، هزارة، وپشتون.

من أكثر الخونة مساعدة للولايات المتحدة في غزو أفغانستان "قوات تحالف الشمال", و بعد غزو أفغانتسان وتأسيس إدارة كرزاي في أواخر 2001، انحل تحالف الشمال وتشكلت منه أحزاب سياسية مختلفة.

فمعلوم لدى الطالبان قبل بقية الناس أن المخابرات الإيرانية كانت تساعد "تحالف الشمال" بقيادة مسعود، وتمدهم بما تمدهم به، فهذا سبب يجعل العداوة متأججة بينهما، تماما كما ساعد الباكستان الأمريكان في حربهم.

فكما كان الزعم بأن الملا عمر -رحمه الله- كان مختبئا عند المخابرات الباكستانية في كويتا وكراتشي منذ 2002، حتى موته في سجلات المخابرات الباكستانية= زعم تافه.

وهل كان غزو الناتو لأفغانستان ليتم ويكمل لولا وجود كامل الدعم والخدمات اللوجستية من الجيش الباكستاني والمخابرات الباكستانية؟

فكذلك هنا عن التعاون بين الطالبان وإيران بهذا الشكل الذي تصوره أقلام مناصري تنظيم الدولة.

2- بعد الغارات الأمريكية على أفغانستان نزح إلى إيران ما يقرب من 2 مليون أفغاني، وكثير من العرب السنة ومنهم قيادات من القاعدة بأسرهم وعوائلهم، منهم الشيخ سليمان أبو غيث صهر الشيخ أسامة والشيخ أبو حفص الموريتاني وغيرهما، فاعتقل الإيرانيون عددا منهم، وسلموا بعضهم إلى دولهم.

فهل يراد من قادة الطالبان أن يتركوا هؤلاء الأفغان لمصيرهم؟

ألا يجب عليهم التواصل معهم ورعايتهم ومحاولة تخفيف معاناتهم، وتلبية ما يستطيعون من احتياجاتهم؟

3- وقد أفرج الإيرانيون عن الشيخ سليمان أبو غيث في 2013 فانتقل إلى تركيا، فسربت المخابرات الإيرانية لنظيرتها التركية خبره فاعتقلوه، ثم نقلوه لمطار الملكة علياء الدولي في الأردن، ومنه أخذته المخابرات الأمريكية، كما ذكرت الصحف التركية.



وأما الشيخ أبو حفص فقد أفرج عنه من سجون الإيرانيين في 2012، وله مقطع مصور شهير على اليوتيوب يقول فيه:

(وأنا كنت من هؤلاء الذين بقوا في السجن 10 سنوات، ومن خرج منهم لم يخرج إلا بتبادل بعض الدبلوماسيين الذين اختطفتهم القاعدة، هناك الملحق التجاري في القنصلية الإيرانية في بيشاور اختطفته القاعدة سنة 2008، وأفرجت عنه بتعهد من إيران بالإفراج عن بعض عناصر وقيادات القاعدة بما فيهم أسرة الشيخ، وهناك دبلوماسي إيراني أيضا اختطف في اليمن سنة 2013، هذا الذي تم الإفراج عنه مقابل بقية العناصر من القاعدة الذين بقوا في إيران أكثر من 10 سنوات).

فالعلاقة التي يراد الترويج لها ليست هي الحقيقة، ولا ما يقرب منها حتى.

4- أما ما يقال عن التعاون بين المخابرات الإيرانية والطالبان لقتال الدولة، وأن مقاتلي الدولة هناك قد بلغوا آلافا مؤلفة وربما يوصلونهم إلى ملايين قريبا = فلا يحتاج لرد والله.

فإيران هي من هي بالنسبة للطالبان كما ذكرت، ومع ذلك فلم يبلغ عدد مقاتلي الدولة هذه الأرقام المرعبة التي يبثونها ليستعينوا عليهم بأعداء الأمس.

أذكر أن عبد الباري عطوان كان يزيد عدد مقاتليهم في الشام والعراق في كل مقال بضعة آلاف، حتى أوصلهم إلى مائة وعشرين ألفا في آخر مقال قرأته له عنهم!! ثم لم أتابع ما وصلوا إليه معه بعد ذلك.

وإن أردت أن تأخذ بخير الفورين بوليسي عن التعاون بين الطالبان وإيران = فخذ معه بالمرة خبر التعاون بين تنظيم الدولة وروسيا، وكلاهما من نفس الصحيفة.

5- وأما إقامة الطالبان لعلاقات دبلوماسية مع بعض الدول ومنها قطر وافتتاح مكتب لهم = فهم مخطئون من وجه ومصيبون من وجه، لكن قبل ذكر هذا وذاك أود أن أذكر أحبتي أن الشيخ أسامة كان مبايعا للملا عمر وهو على علاقته تلك، ولم يتهمه الشيخ بالردة أو العمالة أو الخيانة، مع مخالفة أدبيات القاعدة لذلك كما هو معلوم.

أقول:

هم مصيبون من حيث الأصل الذي يجب على أي حركة إتيانه في الواقع، فلا يجب أن تستعدي الجميع، ويجب أن تنظر لقدرتك واستطاعتك "فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى"، ومآل حركتك وجماعتك إن حوصرت .. إلخ.

هم يفكرون بهذا المنطق الذي هو صحيح من حيث الأصل، لكنه غير متحقق في واقعهم بالكلية، فقطر ولاية أمريكية محضة يسكنها العرب في هذا العالم الأمريكي القذر، ومنها انطلقت الطائرات الأمريكية



لحرب أفغانستان في 2001، ولا يملك حكامها من أمرهم شيئا، إلا بعض الهامش التافه الذي لا يساوي شيئا في عالم القوة.

ثم إن الطالبان لا ينتبهون لمكر هؤلاء بهم، فغدراتهم لا تعد ولا تحصى، وقد جربوا اللدغ من عميلين قبل ذلك هم السعودية والباكستان، فلمَ يكررون نفس الخطأ؟!! فهذا قصر نظر منهم، غفر الله لهم وبصّرهم بمواقع خطوهم ووفقهم وسددهم.

6- ومن جملة ما يجب التنبيه عليه أيضا ما يذكره بعضهم من أن الطالبان مع إيران مثل حماس بالضبط, فأود أن أشير إلى الفرق بين حماس والطالبان في العلاقة بإيران:

أ- حماس تتلقى سلاحا كثيرا من طهران، إلى جانب ما يطورونه ويصنعونه طبعا، وهو ما يفرض عليها تعاملا خاصا مع الإيرانيين، بينما الطالبان يقتاتون من غنائم أسلحة الأمريكان والناتو التي تقع في أيديهم، ومن قبل الحرب كانت مخازنهم مليئة بأسلحة السوفييت كغنائم أيضا.

ب- العلاقة بين الطالبان وإيران متوترة، بسبب دعم طهران لتحالف الشمال الذي كان يقوده أحمد شاه مسعود ومده بالسلاح في وجه الطالبان، وإن كانت إيران أحبت أن تتخذ يدا لها عند الطالبان والقاعدة بعد حرب 2001 فقدمت عدة خدمات إنسانية كالمأوى وغيره للنازحين، ثم غدرت بهم واعتقلت عددا من قيادات التنظيمين.

ج- تباطأ رد فعل حماس في دعم الثورة السورية في أولها، نظرا لعلاقتهم الحساسة بالنظام ومكتبهم في دمشق وكذلك علاقتهم بالإيرانيين.

بينما الطالبان لا يعانون من هذه الحساسية، ولا تمن إيران عليهم بشيء.

د- بسبب علاقة حماس بإيران وحزب اللات فقد رثوا وقدموا التعازي في عدد من أباطرة الإجرام وطواغيت الكيانين، ولم تفعل الطالبان، ولو فعلت لوجب إغلاظ القول لها كما فعل الناس مع حماس.

7- وكذلك مما ينبغي ذكره: سداد السياسة الشرعية الطالبانية إجمالا:

فنحن لا ننكر السياسة الشرعية واقعيا ونثبتها نظريا فقط، كما يقول بعض إخواننا غفر الله لنا ولهم، لكننا لا نسلم بكل صورة أريد إدخالها تحت هذا الاسم الشريف.

أضرب لك مثالا واحدا فقط حتى لا أطيل، فيه طرف من فقه السياسة الشرعية وتطبيق لها:

في يوم 19 يوليو 2007م قامت حركة طالبان بإلقاء القبض على 23 مبشرًا كوريًّا جنوبيًّا واتخذتهم كرهائن،



أثناء مرورهم بولاية غزنة الأفغانية، حيث كان يتم نقلهم بحافلة من مدينة قندهار إلى العاصمة كابل.
تم إخفاء الرهائن على مدى شهر في أقبية وبيوت مزارعين عبر مجموعات من 3-4 أفراد. ثم في يوم 25 يوليو تم قتل أحد الرهائن ثم قتلت رهينة أخرى يوم 30 يوليو، وذلك قبل البدء في عملية التفاوض مع الحكومة الكورية الجنوبية.

يوم 10 أغسطس تم عقد مباحثات وجهًا لوجه بين عناصر من طالبان وممثلين عن الحكومة الكورية، والتي توجت بالإفراج عن سيدتين كوريتين.
مع تقدم المفاوضات تم الإفراج عن باقي الرهائن يوم 28 أغسطس مقابل سحب كوريا الجنوبية لجنودها من أفغانستان بنهاية عام 2007م وفدية قدرها 20 مليون دولار، وذلك بعد وساطة من إندونيسيا..!

فانظر -رعاك الله وسددك- إلى هذا التصرف الحسن، الموافق لمقاصد الشرع. فإن نظريتك السياسية يجب أن تقوم بـ: نقل أكبر كمية ممكنة من الأعداء إلى الحياد، ثم نقل أكبر كمية ممكنة من المحايدين إلى المتعاطفين، ثم نقل أكبر كمية ممكنة من المتعاطفين إلى المناصرين.
والطالبان بهذا الفعل أخرجوا كوريا الجنوبية من ساحة الصراع بالكلية، وخفضوا حجم القوات المحاربة لهم، وخلخلوا صفهم وفككوا جزءا منه.
مع أنهم ربما تسرعوا وقالوا: هؤلاء مبشرون منصرون يجب قتلهم، ثم قتلوهم، ولكانوا أضاعوا على أنفسهم كل هذه المكاسب.
وإن كنت أخالف الطالبان في بعض تصرفاتهم، لكن أظن أن هذا الفعل كان مسددا موفقا إن شاء الله.
فهذه صورة حسنة من صور السياسة الشرعية، وفيها تفاوض مع الكافرين من منطق قوة، وحصد فيها أكبر مكاسب ممكنة يسمح بها الظرف.

****



الفصل الحادي عشر

نقاتل مع أهل القبلة من ليس من أهل القبلة

(الدولة الإسلامية نموذجًا)



الفصل الحادي عشر
نقاتل مع أهل القبلة من ليس من أهل القبلة
(الدولة الإسلامية نموذجا)..!

ولا يمكن في العقل والشرع معا أن نجبر أحدا ونقول له : مع كون الدولة تكفرك وتستبيح دمك ومالك وربما حريمك-على قول- فإنه لا ينبغي عليك صد عاديتها ورد أذاها ودفع صائلها, فإن هذا من الملح التي ربما يستطرف بذكرها في المجالس, والتي تجري مجرى عجائب الدنيا!

أشد الأقوال التي رأيناها في تكييف "الدولة الإسلامية" -بسبب غلوهم، وتوسعهم في مسائل التكفير، وتنزيل مناطات البراء من الكافرين على بعض المسلمين، مع تضييق الإعذار والتأول- أقول: أشد ما سمعناه فيهم = هو القول بأنهم خوارج.

فبفرض صحة هذا النظر، وسداد هذا المسلك = فإنه يشرع القتال معهم، ومؤازرتهم في وجه الحملة الصليبية القائمة، وفي وجه المنضمين لهم، من حلفاء الصليب المنتسبين إلى الإسلام، بعد توسيع الحلف الدولي, إن أمن المنضم لهم بلا بيعة بأنه لن يتورط في قتال مسلم.

ولذلك مثال في تاريخنا: وهو ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي الزناتي الملقب بـ "صاحب الحمار"، على العبيديين في المغرب، والتي وقف معه فيها أئمة المالكية، واشتهر قولهم: "نقاتل مع أهل القبلة من ليس من أهل القبلة". فقد رأى فقهاء القيروان وصلحاؤهم أنّ الخروج مع أبي يزيد متعيّن لكفر بني عبيد، فكيف بالأمريكان والناتو..؟!

ومن هؤلاء الفقهاء أبو إسحاق السبائي من فقهاء القيروان: فقد كان يشير إلى أصحاب أبي يزيد ويقول: "هؤلاء من أهل القبلة، فإن ظفرنا بهم -أي بالشيعة العبيديين- لم ندخل تحت طاعة أبي يزيد، والله يسلّط عليه إماما عادلا يخرجه عنا".

وحكى أبو عبد الله المالكي فيمن خرج معه أبو الفضل الممسي الذي كان يقول: "إنّ الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم اسم الإسلام ويورثون ويرثون، وبنو عبيد ليسوا كذلك لأنّهم مجوس زال عنهم اسم الإسلام، فلا يتوارث معهم ولا ينسب إليهم".



أما من أدخل الصورة المعاصرة والواقع الحالي بالنسبة للحكومات في مسألة الاستعانة بأهل الشرك على أهل البغي، فنقول وبالله التوفيق:

أولا: المسألة القديمة تبحث في استعانة أهل العدل -مقيمي دين الله وشريعته- بأهل الشرك على قتال أهل البغي.

وليس في استعانة حكومات علمانية، معادية لدين الله، حلفاء أهل الصليب، أذرعة الكفر في بلادنا، ممولي الحملات الصليبية الحديثة على بلاد المسلمين، كتمويل السعودية لحربي الأمريكان 2001 و2003، وتمويل الإمارات لحرب فرنسا على مالي 2012 وغير ذلك.

فعرض المسألة بصورتها القديمة = من الجرأة على الله بمكان، وغاية في التلبيس والكذب والدجل.

ثانيا: يقصد العلماء بأهل البغي: (الخارجين على الإمام بتأويل سائغ ولهم شوكة).

فتبين أن لتحقق البغي شروطا هي:

1- أن يكون الخارجون على الإمام جماعة من المسلمين لهم شوكة، وخرجوا عليه بغير حق لإرادة خلعه، بتأويل فاسد. وهذا غير حاصل ولا موجودا أصلا.
2- أن يكون الناس قد اجتمعوا على الإمام وصاروا به آمنين. وهذا في زماننا من الملح التي يستطرف بذكرها (الحمد لله لا إمام ولا آمنين).
3- أن يكون الخروج على سبيل المغالبة.

ثالثا: جمهور أهل العلم من المالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية على أنه لا يجوز أن يستعان بالكفار على أهل البغي من المسلمين.

قال في "التاج والإكليل" (8/369): (ولا يستعان على قتالهم -أي البغاة- بمشرك).

وقال **الشافعي** في "الأم" (4/309): (ولا يجوز لأهل العدل عندي أن يستعينوا على أهل البغي بأحد من المشركين ذمي ولا حربي، ولو كان حكم المسلمين الظاهر، ولا أجعل لمن خالف دين الله الذريعة إلى قتل أهل دين الله).

وقال **البهوتي** في "كشاف القناع" (6/164): (ويحرم أن يستعين أهل العدل في حربهم للبغاة بكافر، لأنه لا يستعان بهم في قتال الكفار، فلئلا يستعان بهم في قتل مسلم بطريق الأولى، ولأن القصد كفهم لا قتلهم، وهو لا يقصد إلا قتلهم).

ولابن حزم كلام طويل في "المحلى" (10/355) فليراجعه من شاء.



أما **الحنفية** فلهم تفصيل في المسألة، لا علاقة له أصلا بواقعنا اليوم، وهو ما ذكره شمس الأئمة السرخسي في "المبسوط" (10/133) وكذلك **ابن الهمام** في "فتح القدير" (6/109): (أنه إن كان لأهل العدل حاجة إلى الاستعانة بهم وكان حكم الإسلام هو الظاهر= جاز، وإلا لم يجز).

ولخص بعض المعاصرين الشروط التي اشترطها مجيزو الاستعانة بأهل الشرك على قتال أهل البغي:

1- أن تكون الحاجة داعية إلى هذه الاستعانة.

2- ألا يكون حكم الشرك هو الظاهر.

3- ألا تكون للكفار شوكة ومنعة وراية مستقلة يقاتلون تحتها.

4-أن يعرف حسن رأيهم بالمسلمين وعدم خيانتهم لهم.

5- أن لا يحصل من المستعان بهم ضرر بالمسلمين.

ومن تأمل أقوال العلماء في المسألة يجد أنهم يتحدثون عن الاستعانة بأفراد قلوا أو كثروا، لا بكيانات أممية كالناتو ولا دول إمبراطورية كالولايات المتحدة، فلم يخطر ببالهم أن أهل العدل يمكن أن يستعينوا بدولة كافرة على أهل البغي. فمثلا قال ابن القاسم كما في "المدونة" (1/400): (ولا أرى أن يستعينوا بهم يقاتلون إلا أن يكونوا نواتية أو خداما، فلا أرى بذلك بأسا). النواتية: جمع نوتي وهو الملاح الذي يدير السفينة.

وعليه فهذه الشروط غير متحققة في النازلة المعاصرة = فالنظام الدولي هو القاهر لهذه الحكومات، وهو صاحب الكلمة، وقرار الحرب قرارهم أصلا لا قرار هذه الطفيليات التي تسمى حكومات، والدول العربية معهم هي التي كالخدم والنواتية لا العكس. وكذلك أمريكا وحلفاؤها هم أهل الشوكة والمنعة، وليس لحكومات العمالة والخيانة حيالهم شوكة ولا منعة، بل هم تحت صليبهم يقاتلون، ومن ذا يستطيع أن يحول بين طائراتهم وبين التحليق والانطلاق نحو الأهداف التي يريدون تدميرها.

ثالثًا: فحدث ولا حرج عن إلحاق الضرر والأذى والقتل الجماعي والمجازر والتدمير الوحشي وإهلاك الحرث والنسل الذي سيلحق بالمسلمين.

فبطل التعلق بقول الحنفية بجواز الاستعانة بأهل الشرك على قتال أهل البغي لشروطهم التي لا يمكن مجرد تصورها في الأذهان, فضلا عن تحققها في الأعيان بالنسبة لواقعنا.



أخيرا: من ظن أن النظام العالمي سيتوقف عند تدمير تنظيم الدولة فقط = فهو لا يعرف شيئا عن شيء..!

إذا من حيث الأصل: يجوز القتال مع الدولة، ومؤازرتهم في وجه الحملة الصليبية القائمة، وفي وجه المنضمين لهم, إن أمن المقاتل معهم أنه لن يتورط في دم مسلم يعتقد هو عصمته, وهذا للأسف لا تقبل الدولة به.

وتفصيل ذلك ما يأتي:

يقول أحد الطيبيين : إذا كنت تقول بأن أي طائفة أو جماعة تنتسب للإسلام وتدين الله تعالى بالجهاد ومحاربة أعداء الدين من الصليبيين والمرتدين فنحن معهم ونقل الأخ قول الزرقاوي : (نناصرهم ونتولاهم وفي الوقت ذاته نصرح لهم بأنهم على خطأ ولا نداهنهم).

يقول الأخ: لماذا لا تفعل ذلك مع الدولة..؟!

فنقول وبالله التوفيق:

1- دعني أعكس عليك الأمر, هل تقبل الدولة بأن فيهم من جمل الغلو والبغي ما الله به عليم, وأنهم يقبلون أن يندمج معهم الناس من هذا الباب..؟!

2- وهل يقبلون أن ينضم إليهم منضم بلا بيعة, أو ينضم ويبايع لكن على شرط وهو: ألا يقاتل من يعتقده هو مسلما ككثير من فصائل الشام, وألا يقاتل إلا من استبان كفره كالأمريكان والنصيرية والجيش العراقي إلخ..؟!

3- وهل يقبلون الرجوع عن أحكام التكفير التي يطلقونها بلا ضابط ولا رابط, وأنهم الوحيدون في هذا الكون الذين يريدون وجه الله, ويكفون عن الزعم بأنه لا يبتغي السبيل سواهم..؟!

إن كان كذلك فبها ونعمت, وحبا وكرامة, وإسعادا وإبهاجًا.

لا أظن أن هناك من يجادل في رفض كبراء القوم لذلك المسلك وتلك الطريقة في التفكير والتأتي, بل رفض مجرد توهمه وتصوره.

ولا يمكن في العقل والشرع معا أن نجبر أحدا ونقول له : مع كون الدولة تكفرك وتستبيح دمك ومالك وربما حريمك-على قول- فإنه لا ينبغي عليك صد عاديتها ورد أذاها ودفع صائلها, فإن هذا من الملح التي ربما يستطرف بذكرها في المجالس, والتي تجري مجرى عجائب الدنيا.



دفع الصائل مشروع بالإجماع، فيجب دفع الصائل على النفس وما دونها، ولا فرق بين أن يكون الصائل مسلما أو كافرا، عاقلا أو مجنونا، بالغا أو صغيرا، معصوم الدم أو غير معصوم الدم. دفع الصائل: هو الدفاع (الشخصيّ الخاص) الذي يكون عن طريق أفراد يُعتَدى عليهم من قِبَل آخرين.

في قوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) موضع الحجة في الآية: أن الاستسلام للصائل إلقاء بالنفس للتهلكة، فيكون الدفاع عنها واجبا، ولأنه يحرم عليه قتل نفسه، فكذلك يحرم عليه إباحة قتلها بالاستسلام للقاتل.

وفي صحيح مسلم وغيره أن رجلا جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطه مالك. قال : أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله. قال: أرأيت إن قتلني؟ قال : فأنت شهيد. قال : أرأيت إن قتلته؟ قال: هو في النار.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لو اطلع في بيتك أحد، ولم تأذن له، فخذفته بحصاة، ففقأت عينه، ما كان عليك من جناح, فهؤلاء يقاتلونهم قتال ردة، لا اطلع في بيت أحدهم بغير إذنه فقط..!!

وقال صلى الله عليه وسلم: (من قتل دون مظلمة فهو شهيد) [أخرجه النسائي].

قال العلماء؛ فدل هذا الحديث على أن له القتل والقتال.

وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه: (باب؛ من قاتل دون ماله). قال ابن حجر: (قال ابن بطال؛ إنما أدخل البخاري هذه الترجمة في هذه الأبواب ليبين أن للإنسان أن يدفع عن نفسه وماله ولا شيء عليه، فإنه إذا كان شهيدا إذا قتل في ذلك، فلا قود عليه ولا دية إذا كان هو القاتل) [فتح الباري: 156/5].

قال ابن حجر أيضا: (قال ابن المنذر؛ والذي عليه أهل العلم؛ أن للرجل أن يدفع عما ذكر، ماله أو نفسه أو حريمه، إذا أريد ظلما بغير تفصيل) [فتح الباري: 156/5].

والزرقاوي رحمه الله لما تحدث عن الطالبان والقتال معهم ومع الشيخ عبد الله الجنابي ضد الأمريكان, لم يكونوا يكفرونه وجماعته كما يفعل منظرو الدولة اليوم, وهذا من أبسط البديهي يا قوم, كيف يقاتل الأمريكان مع من يكفره ويستبيح دمه, هذا لا يتصور في الأذهان فضلا عن أن يوجد في الأعيان.

فإن قال قائل: وما الفائدة إذا من هذا التنظير الطويل بجواز القتال معهم -على شرط- إن كان غير حاصل أو نادرا؟

و**الجواب**: أنه سيفيدنا في صواب تنزيل الحكم على المنضم لهم, والبحث في الأعذار والتأويلات.

****



الفصل الثاني عشر

في حجة من أجاز الاستعانة بالكفار في مقاتلة النصيرية



الفصل الثاني عشر

في حجة من أجاز الاستعانة بالكفار

في مقاتلة النصيرية

> ولا يجوز للمسلمين الاستعانة بأهل الذمة إذا كانت لهم شوكة، فلابد أن يكونوا تحت قهرنا وحكمنا، فإذا كان فيهم قلة كانوا تحت قهرنا، فلم يكن بالاستعانة بهم ضرر بالمسلمين، فجازت الاستعانة بهم، وليس كذلك إذا كانت لهم شوكة
> الكرابيسي - الفروق

هل يجوز استعانة الحركات الجهادية بالشام ببعض الكفار، لقتال النصيرية؟

اختلف أهل العلم في هذه المسألة: أعني الاستعانة بالمشركين في الجهاد، على قولين:

فقال الحنفية والشافعية والحنابلة في رواية والمالكية في رواية أصبغ بالجواز.

انظر: "الدر المختار" (4/148)، "روضة الطالبين" (10/239)، "المغني" (9/207)، "التاج والإكليل" (4/454).

وقال المالكية في المعتمد عندهم، والحنابلة في الصحيح من المذهب بعدم الجواز.

انظر: "مواهب الجليل" (3/352)، "الإنصاف" (4/143).

واشترط الحنفية والحنابلة أن تكون الحاجة داعية إليه، واشترط الشافعية أن تؤمن خيانته، وأن يعرف حسن رأيه بالمسلمين. واشترط بعض العلماء أن يكون مع الإمام من يستقل بهم في إمضاء الأحكام الشرعية على الذين استعان بهم ليكونوا مغلوبين لا غالبين.

واستدل الجمهور بالآتي:

1- ما رواه الشيخان في صحيحيهما أن "قزمان خرج مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو مشرك، فقتل ثلاثة من بني عبد الدار، حتى قال صلى الله عليه وسلم: إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر".

2- قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ستصالحون الروم صلحا آمنا، وتغزون أنتم وهم عدوا من ورائكم"، كما عند أبي داود 2390، وابن حبان 6864، وغيرهما.

3- حديث: "استعانة النبي صلى الله عليه وسلم بناس من يهود في خيبر في حربه وإسهامه لهم"، كما عند سعيد بن منصور في سننه 2629، أبي داود في مراسيله 247.



واستدل المانعون بالآتي:

1- حديث "فإنا لا نستعين بمشرك" عند أحمد 23830، والنسائي 8576. وفي معناه حديث: "فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين" عند أحمد 15449، وابن أبي شيبة 32461.

2- وحديث: "لا تستضيئوا بنار المشركين" وهو ضعيف، وما ماثل ذلك.

وقد رجح **الشوكاني** المنع كما في "نيل الأوطار" (7/230) وأجاب عن أدلة الجمهور بـــ:

(عموم قوله صلى الله عليه وسلم: "إنا لا نستعين بالمشركين"، وضعف مراسيل الزهري، وعموم آية (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا)، وأن استعانته صلى الله عليه وسلم بابن أبي لإظهاره الإسلام، وأن قزمان لم يأذن له بذلك في ابتداء الأمر، وغاية ما فيه: سكوت الإمام عن كافر قاتل مع المسلمين).

وقد أجمل د. محمد عثمان شبير في بحثه "حكم الاستعانة بغير المسلمين في الجهاد" شروط القائلين بجواز الاستعانة:

1- تحقق المصلحة من المستعان بهم، كما قال ابن العربي: (إن كان في ذلك فائدة محققة فلا بأس).

2- أن يكون المستعان به حسن الرأي في المسلمين، قال الشافعي كما نقل النووي في "شرح مسلم" (12/199): (إن كان كافرا حسن الرأي ودعت الحاجة إلى الاستعانة به استعين به، وإلا فيكره).

ولذلك لا تجوز الاستعانة بمن عرف بالغدر والخيانة والتجسس على المسلمين، ولهذا منع ابن تيمية من الاستعانة بالنصيرية في حماية الثغور في فتواه الشهيرة: (وأما استخدام هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم= فإنه من الكبائر، وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم).

3- أن يكون المسلمون ذوي قوة ومنعة، بحيث لو انضم المستعان بهم إلى الكفار الحربيين= لأمكن مقاومتهم.

4- أن لا يستعان بهم في قتال البغاة المسلمين، ولهذا أنكر العز بن عبد السلام وابن الحاجب على الملك الصالح إسماعيل لما استعان بالإفرنج على نجم الدين أيوب.

5- أن لا تترتب على الاستعانة بهم موالاتهم وتحسين كفرهم والسكوت على باطلهم عند الحاجة للبيان.

6- أن لا تؤدي الاستعانة بهم إلى المقاتلة تحت رايتهم، والانضواء تحت إمرتهم (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا).

7- أن يكون المستعان بهم في حرب مع العدو، لئلا تكون هذه الاستعانة وسيلة للتجسس على المسلمين، والاطلاع على أسرارهم وعوراتهم.

8- أن لا تكون للكفار شوكة ومنعة وقوة وراية يستقلون بالقتال تحتها، وهو معنى قول محمد بن الحسن



كما في "شرح السير الكبير" للسرخسي (4/1422): (ولا بأس بأن يستعين المسلمون بأهل الشرك على أهل الشرك، إذا كان حكم الإسلام هو الظاهر).

وقال ابن القاسم كما في "المونة" (1/400): (ولا أرى أن يستعينوا بهم يقاتلون، إلا أن يكونوا نواتية -أي ملاحا- أو خداما، فلا أرى بذلك بأسا).

وقال الكرابيسي في "الفروق" (1/319): (ولا يجوز للمسلمين الاستعانة بأهل الذمة إذا كانت لهم شوكة، فلابد أن يكونوا تحت قهرنا وحكمنا، فإذا كان فيهم قلة كانوا تحت قهرنا، فلم يكن بالاستعانة بهم ضرر بالمسلمين، فجازت الاستعانة بهم، وليس كذلك إذا كانت لهم شوكة).

هذه أدلة القوم, والتي لا نرى لها واقعا حاصلا للأسف, وقد ترتب على الاستعانة بالأمريكان والحكومات العربية من الشرور والمفاسد ما الله به عليم, فإن الدعم الخارجي يكون دائما: غير مستقر، ومشروطا, فالاستفادة من التناقضات الإقليمية والثغرات بين الدول، والاعتماد على الأنظمة المعادية للنظام السوري = يعتريه الوقوع كورقة لعب سياسية بأيدي المتصارعين الكبار, وينتهي دائما في كل مرة, إلى شر وإلى ضياع مصلحة الإسلام والمسلمين.

يريدون للمقاتلين أن يكونوا بغال تحميل للأتراك ومن ورائهم من الناتو والأمريكان! فيقوم المجاهدون بتقليم أظافر بشار وأظافر الأكراد وتعطيل توسع الآيات الشيعة، ثم يلقونهم في أقرب مزبلة.

انظر ما قاله أبو مصعب عن الجهاد الأفغاني.. نفس الذي يحصل الآن بحذافيره، قال:

(يجب أن نخرج من حالة أن المصلحة الكلية للعدو وليس لنا مصلحة، يجب أن تكون لنا غالب المصلحة وغالب الاستفادة. إذا سقطت ثمار شجرة التوت هذه فلابد أن يكون أكثر (السلات) الموجودة في الأرض هي لنا، فنجمع أكبر كمية من التوت، ثم غيرنا يلتقط من بين هذه السلات، أو يكون له سلتان ولا ثلاثة ضمن السلات، ولكن الأساس أننا نفرش تحت شجرة التوت ونجمع محصولنا.

أما الذي حصل فكما شبَّه أخونا:

أخذنا بشجرة التوت فهززناها بعنف ولم يكن عندنا أي سلات في الأرض، هناك سلة أمريكي، سلة روسي، سلة فرنسي، سلة سعودي، سلة مصري، كل الناس التقطت الثمار، ونحن فقط هززنا. بعضنا سقطت عليه بعض الأغصان فقُتل، وبعضنا نزل عليه بعض الأشجار فجُرح، والبعض الآخر قالوا له: جزاك الله خيرا، انتهيت من هز شجرة التوت، اتفضل اطلع من هنا، ومن خرج إما صُفي وإما قُتل وإما طُورد، هذا الذي حصل).



فقط يريدون منا هز شجرة التوت، والباقي عليهم هم.

لكن الكلام الآن مع تنظيم الدولة في ثبوت كفر الجماعات المستعينة بتلك الحكومات.

فقد كان هذا الدعم حاصلا في حربي أفغانستان ضد السوفييت والبوسنة بعدها, كان المجاهدون يقاتلون بالأسلحة الأمريكية مثل (صواريخ ستينجر المشهورة)، وحكى كثيرون أنهم كانوا يفتحون صناديق ذخيرة عليها الأعلام المصرية، وأيام الثورة السورية الأولى (1979-1982) كانت "الطليعة المقاتلة" تتدرب في معسكرات صدام بالعراق, وأيام الجهاد البوسني (1992-1995) كانوا يعتمدون على أموال "الملك فهد"، في التسليح والتدريب والقتال ضد الصرب والكروات, المشكلة عند البعض أنه ينزل كل ما يسمع من أحكام على واقعة محددة في ذهنه هو، ثم يحاكم المتكلم بناء عليها. أو يضع الجميع في سلة واحدة، مطلقا حكم الردة والتكفير، بكل ما يترتب عليه ذلك من طوام وعظائم.

فهل كفر كل هؤلاء لأنهم استعانوا بحكومات كافرة..؟! اللهم لا, بل هم بذلك متأولون وإن كان تأويلا فاسدا, وهم لا يرون الحكومات العربية أو حكومة تركيا كافرة أصلا ولا يرون أنهم استعانوا بكفار.

(التأويل): وضع الدليل الشرعي في غير موضعه باجتهاد أو شبهة تنشأ عن عدم فهم دلالة النص، أو فهمه فهما خاطئا، أو ظن غير الدليل دليلا, فيقدم المكلف على فعل الكفر وهو لا يراه كفرا، فينتفي بذلك شرط العمد، ويكون الخطأ في التأويل مانعا من التكفير.

وقد حذر أهل العلم من إكفار المتأولين, وشددوا النكير فيه, نقل القاضي عياض في "الشفا" (2/277) عن العلماء قولهم: (إنه يجب الاحتراز من التكفير في أهل التأويل، فإن استباحة دماء المصلين الموحدين خطر).

ويقول ابن الوزير في "إيثار الحق على الخلق" ص437: (قوله تعالى "ولكن من شرح بالكفر صدرا" يؤيد أن المتأولين غير الكفار، لأن صدورهم لم تنشرح بالكفر قطعا أو ظنا، أو تجويزا أو احتمالا).

ومذهب السلف عدم تكفير المتأولين من أهل القبلة، قال شيخ الإسلام في "مجموع الفتاوى" (3/180): (فالمتأول والجاهل المعذور = ليس حكمه حكم المعاند والفاجر، بل جعل الله لكل شيء قدرا).

بعض الناس لا يفهم (الموالاة) إلا على معنى واحد فقط, كما فعل صاحب (الجامع في طلب العلم الشريف) فلا يعرف من الموالاة إلا الكفر الذي يضاد الإيمان من كل وجه، ولذلك كفر الجاسوس مطلقا, ومثله منظرو الدولة.

وعكسه ما فعله مؤلف كتاب (الموالاة) للجماعة الإسلامية المصرية قديما، الذي جعلها كلها من الكفر الأصغر والتي لا يكفر المرء بها إلا بوجود الاستحلال، وما في معناه.



والصواب الذي لا محيد عنه هو تعدد مراتب الولاء والبراء، وأنها ليست مرتبة واحدة، وكتب أهل العلم طافحة بذلك، مملوءة منه:

قال ابن القيم في تجزيء الموالاة، كما في "مدارج السالكين" (1/281): (أهل السنة متفقون على أن الشخص الواحد يكون فيه ولاية الله، وعداوة من وجهين مختلفين).

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، كما في "الرسائل والمسائل النجدية" (3/38): (وعرفتم أن مسمى الموالاة يقع على شُعبٍ متفاوتة، منها ما يوجب الردة كذهاب الإسلام بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم" ص 237، في حديث: "من تشبه بقوم فهو منهم": (فقد يحمل هذا على التشبه المطلق، فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه منهم في القدر الذي شابههم فيه، فإن كان كفرا أو معصية أو شعارا لها= كان حكمه كذلك).

فالذي نراه أن لهذه الجماعات شبهات وتأويلات تمنع من تكفيرهم.

****



الفصل الثالث عشر

في ذكر الوضع في الشام واليمن والصومال

وأفغانستان والعراق وليبيا ومالي إجمالًا

(فقرة إخبارية)



الفصل الثالث عشر

في ذكر الوضع في الشام واليمن والصومال وأفغانستان والعراق وليبيا ومالي إجمالًا

هي (فقرة إخبارية) وقد كتبها أحد الصحفيين واستأذنته في نشرها

أما عن الساحة الشامية فهي ولله الحمد بدأت حالتها تتحسن, خصوصا بعد إعلان هيئة تحرير الشام, واندماج كبري الفصائل السنية في هذا الجسم.

ولم يمتنع عن الانضمام أحد يذكر إلا أحرار الشام, وقد انشق الكثير من الألوية والكتائب المنضويه تحت لوائها وبايعوا الهيئة, وألغيت أسماء جميع الفصائل الداخلة فيها بشكل تام, وهي:

(جبهه النصرة, كتائب نور الدين زنكي, لواء الحق, جبهة أنصار الدين, جيش السنة) وغيرها,

وتم عزل الألوية التي تقاتل مع درع الفرات من الفصائل والتبرؤ منها بشكل تام.

كما بدأت الهيئة بعمل عسكري أمني في قلب حمص, قتل علي إثره اتنان من أعتى سفاحي النظام النصيري وحوالي 50 من كلاب المخابرات.

وقد أعلنت الهيئة عن أن حاكمية الشريعة هدفها الأول, وتم تنصيب أبو جابر الشيخ كقائد عام,

والجولاني كقائد عسكري عام وله صلاحيات موسعة كاختيار رئيس المكتب السياسي.

وهذا جواب سؤالكم عن جبهة النصرة وتطورات الساحة الشامية, وسيأتي نقد مفصل لتجربة النصرة في آخر البحث.

أما عن جماعة الأحرار فللأسف انضم إليها كل مترديه ونطيحة من حركة حزم إلى فصائل مؤتمر الأستانة, والتي استأصلتهم الهيئة وبدأت تتقلص تدريجيا, مع سيطرة المكتب السياسي على القرار, وخرج كثير من رجالاتها ولحق بالهيئة, أما من بقي من الرجال فيحاول الإصلاح قدر ما يستطيع.

أما جيش علوش فكما هو قبل زهران وبعد زهران, بل ازداد حاله سوءا بعد رفضه تسليم مطلوبين للمحكمة الشرعية بتهمة اغتيالات لمشايخ في الغوطة, أما السمت العام فكما هو.

أما الدولة الإسلامية فللأسف تنسحب كل يوم من ضيق إلى أضيق, وقد ضاع حوالي ربع الموصل, بما فيها الجامع الكبير الذي أعلن منه البغدادي الخلافة, ثم ضاعت كلها بعد ذلك.



والرقة حاليا محاصرة تماما, ودرع الصليب والقوات الكردية وقوات النظام يتقدمون باتجاهها يوميا, خصوصا بعد خسارة الدولة لمدينة الباب, ودخول درع الصليب المدعوم تركيا والسيطرة عليها بالكامل.

أما عن الدولة في اليمن فحقا لا نسمع عن ولايتها إلا في الفيس بوك وتويتر, خصوصا بعد فضيحة همام الحميد مسئول الدولة الإعلامي في اليمن, والذي أعدم بعد أن ثبت أنه المتورط في اغتيال الشيخين نصر الأنسي وحارث النظاري, ولا نعلم عنهم إلا أنهم يعيشون في المناطق التي هي تحت سيطرة تنظيم القاعدة هناك.

أما عن الدولة في أفغانستان فهي لا تسيطر إلا على 5 مديريات فقط, قامت الطالبان بطردهم من 3 وبقي 2, وانشق عنها 5 من كبار قياداتها منهم قارئ ياسر عضو مجلس الشورى والذي قال بكفر الطالبان, وسلموا أنفسهم للمخابرات الأفغانية واعترفوا أنهم ضباط, وبعدها انشق عنهم الشرعي العام لهم عبد الرحيم مسلم دوست, وطعنه في حافظ سعيد أميرها هناك والذي قتل هناك, وتولى بعده سعيد إماراتي, وقتل بعد توليه بحوالي شهر ونصف.
وليس لهم عمليات تذكر إلا الهجوم على أضرحة الشيعة, وقتل قياديين في الطالبان, ومحاولة اغتيال الملا نك محمد رهبر أكثر من مرة, وهذا الرجل هو أمير الطالبان في ننجرهار, وتعرض لحوالي 4 محاولات اغتيال من عناصر الدولة, منهم واحدة في المسجد.

أما عن انحياز القاعدة من المدن التي كانت تسيطر عليها, فتفصيل ذلك مذكور في فصل أثر الشكل والهيكلة على الفكر والحركة, ومع ذلك فأقول اختصارا: قد أعلنت القاعدة أنها ستنسحب لتدير الحرب بطريقتها, وليس كما يريد لها الأمريكان, عن طريق الكواتم واللواصق والأكمنة, ولتجنب حدوث ماحدث في كوباني مره أخرى, وقد أثبتت هذه الطريقة نجاحها, وتم استعادة مدينة لودر بالكامل, وقتل مايزيد عن 42 قياديا حوثيا أغلبهم من قيادات الصف الأول, وفيهم طه الحوثي ابن عم عبد الملك والقيادي البارز في الجماعة.

وللقاعدة شعبية هناك, خصوصا بعد أن دخل الإماراتيون وكلابهم مكان القاعدة وأذاقوا أهلها الويلات, بعد أن عاشوا في رغد في ظل حكم الشريعة, وخرجت مظاهرات تترحم على أيام القاعدة, وحسابات أبناء المكلا حاليا تتمنى عودة القاعدة, بعد أن شاهدوا ظلم أبناء زايد وكلابهم, وخطف العلماء وكل صوت يعارض جهارا نهارا.



وبعد أن عجزت أمريكا عن مواجهة العبوات لجأت إلى الإنزالات الجوية, فتعرض الإنزال الأول لخسائر فادحة وتم تدمير مروحيتين, اعترف العدو منها بواحدة وقتل 8 جنود من قوات المارينز, وأما الإنزال الثاني فلا نعرف خسائر الأمريكان فيه إلى لحظة كتابة هذه السطور, إلا أنباء عن إسقاط مروحية واصابة الأخرى, مما أدى إلى هبوطها اضطراريا.

أما عن تقبل القبائل للدعوة فهو واضح لكل متابع للشأن اليمني, فكثير من القبائل قامت صفا واحد للذود عن إخوانهم في القاعدة, وهو الأمر الذي طالما سعى إليه التنظيم.

أما عن الصومال فأقول مستعينا بالله:
إن حركة الشباب هناك لم يعطوا فرصة للدولة كي تنشأ أصلا, وحسموا أمرهم سريعا من قضية الدولة, وظهر أول احتجاج من أبي الزبير أمير الحركة عليهم في كلمته المسموعة "مسلمو بانجي وممباسا- قصة مأساة" مؤسسة الكتائب ديسمبر 2014, وفي رسالة مختار أبي الزبير للدكتور أيمن والتي ذكرها الأخير في الحلقة الأولى من سلسلة الربيع الإسلامي سبتمبر 2015 قال له:
(قضية تصرف الإخوة في الدولة نسأل الله أن يسامح الإخوة ويردهم إلى الحق .. أرجو شيخي أن تصبر لهم وتعفو عنهم وتستوعب قصورنا جميعا وتحاول الإصلاح والتدارك).

فخسرت الدولة معركة القيادات واختراقها من أول جولة, ولم يتعاملوا بحنكة في الملف الصومالي, وقد كان يمكنهم جذب حركة كبيرة بمثل هذا الثقل بصفهم لو أحسنوا التأتي, لكنهم قاموا بتدشين حملة تويترية بوسم "أيها المجاهد في الصومال" تدعوهم للانشقاق عن الحركة ومبايعة الدولة!
مما تسبب بموجة اعتقلات وتصفية وتجميد في صفوف الحركة ممن بايع الدولة, وتعاملت القيادة بحزم غير متوقع إلى درجة حظر الكلام في المساجد في مسألة البيعة, وقاموا بمطاردة واعتقال كل من أظهر لها الولاء, وعلى سبيل المثال محمد مكاوي الذي خيروه بين عدم شق الصف والرجوع أو السيف, فاختار السيف فكان له.
وليس للدولة جنود هناك إلا كعدد أصابع اليد, والمعقل الوحيد الذي دخلوه تركوه بعد أقل من شهر, وهم الآن في الجبال.

أما عن أنصار الإسلام في العراق فليس لهم تواجد حقيقي, فقط يوجدون على هيئة خلايا نائمة, أو في صفوف الدولة من الذين بايعوا اضطرارا وخوفا من السيف, وظهورهم متوقع وبقوة بعد سقوط الدولة قد



تنشط هذه الخلايا النائمة.

أما عن وضع الأنصار في ليبيا فهو غير مطمئن, والإخوة في قنفودة كانوا في حالة حصار كامل مطبق تماما. وفي يوم الجمعة 3-3-2017 قامت قوات مجلس شورى مجاهدي بنغازي بهجوم عنيف جدا, تمكنوا خلاله من الاستيلاء على العديد من الحقول النفطية, واغتنام ما يزيد عن 60 آلية وطائرة(مي 3), ومقتل عدد كبير من قوات حفتر, بينهم طيار ومساعده, وأسر 7 آخرين, وتم تحرير 4 مدن صغيرة, وكل من مطار وميناء راس لانوف النفطي, وميناء السدرة النفطي, ومدينة بن جواد والنوفلية, وحوالي 120 كيلو متر من الطريق الساحلي, والمعارك لا زالت مستمرة حتى كتابة هذه السطور.

أما عن جند الإسلام في سيناء فقد تعرضوا للخطف والأسر من قبل ولاية الدولة هناك, بعد أن قاموا ببث شريط فيديو عن عملياتهم, وتم إطلاق سراحهم بشرط ألا يقوموا ببث أي أشرطة مشابهة, ومن يومها لم نسمع عنهم شيئا.

أما عن وضع الطالبان الميداني فهم من نصر إلى نصر, فقد فتح الله عليهم إقليم قندوز بالكامل, وقاموا بتحرير نصف هلنمد تقريبا, ويسيطرون على حوالي 60% من مساحة أفغانستان و20% يعملون عليها, بينما لا تسيطر أمريكا وعملاؤها إلا على 20% فقط, ويقوم الإخوة بعمليات استشهادية وانغماسية فيها باستمرار, وأقربها كان يوم الخميس الماضي (لحظة كتابة هذه المذكرة), حيث قاموا بقتل 173 عميلا مخابراتيا, بينهم رئيس مكافحة الإرهاب, بعملية انغماسية بقلب المنطقة الثانية وسط كابل, ومنذ ساعات ورد خبر عن تدمير مدرعة أمريكية في مدخل قاعدة جلال أباد الجوية, ومقتل 4 وإصابه 2 من علوج قوات المشاة الأمريكية.

وبلغ عدد عمليات العام الماضي للإمارة حوالي 9 آلاف عملية, خلفت 17.600 قتيل من العملاء خلاف قتلى الصليبيين.

أما عن الأمير الجديد الشيخ هيبه الله أخند زاده, فقد لاقى قبولا لم نجد مثله إلا للملا عمر تقبله الله, وبايعه كل من اختلف مع الملا أختر, وليس له أي معارضين داخل الحركة على الإطلاق.

أما عن أبي بكر شيكاو فما زال على قيد الحياة ولم يقتل, وقد انقسمت الحركة هناك إلى قسمين, بعد أن رفض شيكاو قرار عزله وكفر الأمير الجديد (بانا بلاشيرا), الذي عينته قيادة الدولة, لأنه يعذر بالجهل, ولكن شيكاو مازال علي بيعته للدولة.



أما عن الوضع في مالي فهو ولله الحمد بشكل عام جيد, ويتلقى الفرنسيون هناك ضربات موجعة بفضل الله من أشبال الصحراء, ومنذ حوالي شهرين قام إخوانكم في حركة مينسا باقتحام سجن "سيغو", وإطلاق سراح مئات الأسرى, ومنذ حوالي ثلاثه أيام توحد كل من إمارة الصحراء وأنصار الدين والمرابطون وكتيبة ماسينا في جماعة واحدة أسموها جماعة نصرة الإسلام و المسلمين, ونصبوا الشيخ إياد أغ غالي أميرا عليهم, وأعلنوا بيعتهم للشيخ أبي مصعب عبد الودود, ومنه للشيخ أيمن الظواهري, ومنه للشيخ هيبة الله اخند زاده.

****



الفصل الرابع عشر

في الفرق بين (إقامة الدين) وبين (إقامة القضاء)



الفصل الرابع عشر

في الفرق بين (إقامة الدين) وبين (إقامة القضاء)

> إقامة الدين يبدأ من القلب بإفراد الله بالحكم, وهذا لا تأجيل فيه ولا نسخ له ولا يسقط بالإكراه؛ ثم يظهر على الجوارح بامتثال الأمر واجتناب النهي.
>
> عمر رفاعي

هذا الفصل للشيخ عمر رفاعي, أضفته لأهميته وفائدته وتعلقه بقضية الدولة.

إقامة الدين يبدأ من القلب بإفراد الله بالحكم, وهذا لا تأجيل فيه ولا نسخ له ولا يسقط بالإكراه؛ ثم يظهر على الجوارح بامتثال الأمر واجتناب النهي؛ ومن ذلك أركان الإسلام، وجهاد أي طاغوت يحكم الناس بغير ما أنزل الله، والجهاد لدفع العدو الصائل، والانضباط الشرعي في العقود والمعاملات مع الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالضوابط الشرعيه، والدعوة إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة.
ومن ذلك أيضا (إقامة القضاء الشرعي)؛ وكل ما مر من عبادات الجوارح مرتبطة بأسباب وشروط يجب إيجادها، أو العمل على إيجادها لو كانت معدومة ، وكذلك مرتبطة بموانع يجب إزالتها؛ فلا تخلط بين (مقام إقامة الدين الذي يعم إفراد الله بالحكم بالقلب ثم تحقيقه على الجوارح بامتثال الأمر واجتناب النهي) وبين (إقامة القضاء الشرعي الذي هو جزء من إقامة الدين والذي لا يصح إلا بوجود أسبابه وشروط صحته وانتفاء موانعه).

يخلط أنصار البغدادي بين (إقامة الدين) و(إقامة القضاء)؛ فينطلقون إلى آيات نزلت فيمن أشرك بالله في الحكم، ويجعلونها فيمن عجز عن إقامة القضاء، لعدم المؤهلين له؛ وهم بهذا الخلط قد اتصفوا بآكد صفات الخوارج التي ذكرها ابن عمر -رضي الله عنه- حين سئل عن الخوارج فقال: (شرار الخلق..انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار وجعلوها في المسلمين) رواه البخاري.
كما أنهم -لما لم يجدوا المؤهلين- اضطروا إلى تسليم باب القضاء لحثالة أصدق ما يقال فيهم: (حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام) ظنا منهم أنه لن يسعهم إلا هذا لتحقيق التوحيد وإفراد الله بالحكم؛ فسفكوا بذلك الدم الحرام وأكلوا المال الحرام ونسبوه لإقامة التوحيد؛ كل هذا بجهل من المخلصين منهم، أو باتباع هوى من فجارهم.

والصواب أن تفرق بين أمرين:

الأول: إقامة التوحيد ،وإفراد الله بالحكم وهذا مخاطب به كل مكلف.

الثاني: إقامة القضاء, وهذا مكلف به من كان مؤهلا له، بعلمه بالأحكام التي يقضي بها، وكذلك بقدرته على إنفاذها ؛لهذا فقد اشترط العلماء وجود أهل الحل والعقد -وهم أهل العلم والقدرة- لصحة الإمامة، التي تتولى بدورها إقامة القضاء، بعلم بالأحكام، وقدرة على تنفيذها.

****



الفصل الخامس عشر

في التعليق على تجربة جبهة فتح الشام

(النصرة سابقا)



الفصل الخامس عشر
في التعليق على تجربة جبهة فتح الشام
(النصرة سابقًا)

القواعد والقيادات الوسطى يجب أن تنال قسطها من الشرع والفهم والوعي، لأنها هي التي ستفرز قيادة المستقبل، في ظل حرب تستهلك الكوادر والكفاءات والنخبة الممتازة أولا بأول

أبو مصعب السوري

بعد مناقشة مع أحد الأصدقاء حول أداء جبهة فتح الشام, ووضع اليد على بعض الثغرات في حركتها = أضع هذا البحث القصير, مدمِجًا كلام صاحبي بكلامي:

1- كل تجربة إسلامية كأن الله يعطيها وقتا (أصليا)، لتعمل فيه وتبدع، ويسخر لها من الأقدار والطاقات، ويفتح لها من المغاليق = ما يتعجب له الناظر ثم إذا فشلت في تحقيق غرضها، تعطى (هامشا) إضافيا، ووقتا زائدا، لعلها تستدرك ما فاتها، وتصحح انحرافها.

فإن لم تفعل، وتحقق فراغ وعائها المنهجي، وخواء رؤيتها التغييرية = انطفأ نجمها، وذهب أوانها، وجرت عليها سنة (الاستبدال)، لكنها قد تبقى حية إذا أخذت بأسباب البقاء الكونية، والتي يستوي فيها المؤمن والكافر.

2- لم تترك الجاهلية الدولية كالأمريكان وأضرابهم أي محاولة بدء تكوين جيل مقاتل، جاهليا كان أو إسلاميا = إلا وأفشلوها وأظهر الأمثلة على ذلك:

أ - جيل حرب أكتوبر-بغض النظر عن نتيجة الحرب-، فمع كونه جاهليا لا يمت لمقاصد الإسلام من القتال بحال ولا صلة، إلا أنهم تخوفوا على مصالحهم منه، فقام عملاؤهم المصريون بوأد هذه البذرة الجاهلية بسلاسل كامب ديفيد والسلام وملحقاتهما وأخواتهما, ونشأت الأجيال التي لا تعرف عن الحروب والصدامات الأممية إلا اسمها، وضرب الترف المؤسسة العسكرية المصرية، وأضحت: الشركة المساهمة العسكرية المصرية..!

ب - جيل التجربة الأفغانية في جهاد السوفيت (1979-1992)، أي: مليشيات الأفغان التي بلغت مثلا في جيش حكمتيار وحده لمائتي ألف مقاتل (200 ألف)، وزرعوا بين الإخوة الأعداء الشقاق، وتم



استقطابهم بين عدة دول كالولايات المتحدة وإيران وباكستان، حتى ضاع هذا الجيل وتاه.

ج - جيل الأفغان العرب الذين زادوا عن 50 ألفا من المقاتلين، ومئات الدورات العسكرية والشرعية والاستراتيجية، حتى اعتبرهم أبو مصعب السوري قد أتخموا من فرط الدورات العسكرية, وقامت قوانين الإرهاب، وإغلاق الملاذات الآمنة والهوامش الإقليمية، وسياسة تجفيف المنابع،والتحالفات الأمنية = بالتكفل بهذا الجيل وزجه في أخاديد السجون والمعتقلات والإعدامات حتى تلاشى أو كاد..!

وهذا ما يحصل في الشام قطعا, وما ضربات الطائرات بدون طيار إلا ويندرج هذا الهدف تحتها.

3- غياب الاستراتيجية المتكاملة والتخطيط الشامل المسبق:

معلوم أن أي تصور استراتيجي = لابد أن يبنى على حساب دقيق لمعطيات الواقع وتوقعات المستقبل. ويشمل ذلك: حالة البلاد وجغرافيتها الطبيعية والسكانية، وتركيبتها الدينية والقومية والسياسية، وطبيعة النظام وتركيبته، ونسبة القوة الذاتية إلى قوته، وطبيعة القوى الصديقة والمعادية، وإمكانية الإفادة منها، وطبيعة العمل العسكري المناسب، وطبيعة بنية التنظيم المطلوب لكل مرحلة.. إلخ.

انظر: "الثورة الجهادية السورية" لأبي مصعب السوري.

فمع ضعف البنية التنظيمية والأيديولوجية لحزب البعث، اعتمد النظام على المرتكزات (الأمنية - العسكرية) في شقين رئيسيين:

أ - فرق حماية النظام: وهي فرق عسكرية تتبع الجيش النظامي من الناحية التنظيمية، ولكنها تدار من قبل القصر الجمهوري، وهي: (سرايا الدفاع عن العاصمة واللتي تحولت لاحقا للفرقة الرابعة ، الحرس الجمهوري، القوات الخاصة، الفرقة المدرعة الثالثة، سرايا الصراع).

ب - المؤسسة الأمنية، وتشمل: (إدارة الأمن السياسي، إدارة الأمن العام [الأمن الداخلي - الاستخبارات الخارجية - فرع فلسطين]، شعبة المخابرات العسكرية، إدارة المخابرات الجوية، مكتب الأمن القومي).

ويبلغ قوام هذه الأجهزة أكثر من 300 ألف عنصر.

انظر: مرتكزات النظام السوري (1970-2011) وأثرها في بناء الثورة د. بشير زين العابدين.

فحالة اكتمال القوة العسكرية للنظام النصيري، تختلف اختلافا جذريا عن حالة تآكل النظام، واعتماده شبه التام على المليشيات الشيعية والحرس الثوري الإيراني الآن, وهذا ما كان يوجب التحرك باستراتيجية مختلفة.

والذي حصل في الثورة السورية أن سار العمل بشكل فطري، تقدر فيه الضرورات دائما حسب معطيات الأمر



الواقع، وما لبث أن خرج الأمر من يد الفصائل المقاتلة بمجرد انفجار الأحداث، ودخول طرف جديد على الساحة، استغل التناقضات الأيديولوجية ومسارات العمل بين الفصائل. فلم يستطيعوا الانتقال لمستوى استراتيجي مختلف، نظرا لاختلاف الظروف والإمكانيات وتأييد الجوار الذي يضيق مع الوقت.

4- فلو نظرنا في مسيرة جبهة فتح الشام :

كقاعدة عامة الجبهة فى مرحلة تكوين سريع جدا, يعني أنت تنظر لمولود ينمو بسرعة رهيبة, من فرع لجماعة عراقية لانفصال, فتقريبا كل فترة تمر بنازلة ولا تملك وقتا حتى لإعادة الترتيب, بل الكل يمر بشكل متزامن: تفقد كوادر فتبحث عن غيرهم, تفقد قادة فتصعد غيرهم, تتعرض لضربات فتحاول التعويض.
المشكلة الأم أن الذي يصعد للقيادة لا يكون على مستوى الحدث غالبا, فيحدث الخلل الكبير في آليات العمل والحركة.

قال **روبرت تابر في "حرب المستضعفين**" :
(قد كرس الفرنسيون خمسة أشهر من العام 1947 لمحاولة فاشلة تستهدف إلقاء القبض على هوشي منه وهيئة أركانه، معتقدين أن ذلك سيؤدي إلى اختصار مدة الحرب.
وحتى أنهم لو نجحوا في ذلك، فإن مجرى الحرب ما كان ليتأثر، إذ أن النتيجة لم تكن تتوقف على عبقرية عسكرية فردية، بل على استراتيجية أملاها الموقف السياسي – العسكري، ولأن كل مسؤول شيوعي تعلم الدرس الصيني، كان بإمكانه تطبيق تلك الاستراتيجية تلقائياً.).

قال **أبو مصعب معلقا**:
(تفكير –إجمالا- سليم, ولكن في واقع الفيتناميين الصحيح صار غلطا, الفرنسيون حاولوا القبض على هوشي منه وهيئة أركانه وكانوا سيرتاحون, ويبقى الفيتناميون بدون دماغ مفكر, وهذا توجيه صحيح (قاتلوا أئمة الكفر), لما تضرب الدماغ المفكر للعدو تشله عن الحركة, ولكن لم يكن هذا صحيحا للتفسير الذي ذكره.
وهذا درس عظيم جدا سأقف معه وقفة مؤلمة وحسبنا الله ونعم الوكيل وأرجو ألا تفهم خطأ, ولكن وقفة هامة جدا.
ولك أن تتألم وتفكر في واقعنا نحن, يقول أنه لو أخذت القيادة فهي مشكلة لكنها لن تؤثر, لأن كل فرد من أفراد الجماعة تعلم أن يكون, أول شيء ايش المنهج؟ ايش المعتقد؟ عرفه, ايش الأسلوب؟ ايش آلية حرب العصابات في مواجهة المحتلين؟ عرفه, لأن الدرس الصيني بالنسبة لهم درس عقائدي عسكري, ليس فقط مجموعة من الناس يعرفون البعد الأيدولوجي للثورة, أو ناس يعرفون التكتيكات العسكرية للثورة, كل فرد من النخبة تعلم هذه وتلك.



فوقفت هنا وقفة مع هذه المسألة في ملاحظة :

لاحظ الفرق بين هذا وبين بنية كثير إن لم يكن غالب إن لم يكن كل الجماعات الجهادية, بل والإسلامية عموما حتى الدعوية والإخوان وكذا, فرق هائل جدا في فهم المنهج وأسلوب الحركة بين القواعد والقيادات, وهذا الفارق يصبح عظيما في الجماعات الجهادية.

الخطة العسكرية نفسها, لا يفهمها إلا ثلاثة أو أربعة, هذا إذا كانت أصلا موجودة, إذا راح الثلاثة ولا الأربعة لا أحد غيرهم يفهمها.

الهياكل الإدارية من حيث الشخص, تدخل لا تجده, فتقول: أين فلان؟ يعني بدك منه شغلة, يقول لك: راح يجيب بنزين, راح دورة متفجرات.. إلخ, هو شخص لإمكانياته العالية وعلاقاته بالقيادة يحمل 700 ألف وثيقة بيده! وباقي الإخوة ببساطة جالسون بلا شغل, ليس عندهم عمل). اهـ.

لابد من الاهتمام بصنع الكوادر وترقيتها وتعليمها أساليب العمل وأيدولوجيته, ولذلك قال صاحب ثورة في الثورة: (وكذلك المسئولية هي التي تصنع المسئول), إعطاء المهمات هو الذي يخرج قادة, (والمسئول هو الذي يصنع التاريخ) يعني بأعماله يصنع التاريخ, (فإذا صُنع التاريخ ألقى بمسئوليات جديدة على الناس), فهذه المسئولية تصنع مسئولين والمسئولون هم الذين يصنعون الدولة, العلاقة بين التاريخ والمسئول والمسئولية.

القواعد والقيادات الوسطى يجب أن تنال قسطها من الشرع والفهم والوعي، لأنها هي التي ستفرز قيادة المستقبل، في ظل حرب تستهلك الكوادر والكفاءات والنخبة الممتازة أولا بأول.

وكذلك هو كفيل بحماية التنظيم من خطر الغلو والتشدد، وإكفار المسلمين بما ليس بمكفر، وضيق العطن والصدر، والتحول لمدرسة الرأي الواحد، فقهيا وعقديا، مع الوقوع في كثير من البدع والضلالات بسبب هذا النقص الشرعي, كما حدث في تجربة تنظيم الدولة.

لابد أن يُعلم أن قتل الكوادر هي حرب استنزاف بيننا وبين عدونا، ولن تنتهي أبدا, وعليك أنت أن تطور كوادرك وتصنع غيرهم باستمرار, وفي ذلك

يقول أبو مصعب:

(نقول هنا أن الصراع يتحول إلى عملية عض أصابع بين الثورة والمحتل، من يصبر أكثر على الاستنزاف).

ويقول أيضا:

(يجب دائما الالتزام بقاعدة: (النوع قبل الكم)، ويمكن لبضعة عشر مجاهدا معبئا ومنظما ومدربا= أن يغطوا قطاع مدينة كبيرة عملا، ويشغلوا النظام كأنهم ألوف المقاتلين، وينشروا في وسطه الرعب، ويرفعوا معنويات الجماهير إلى عنان السماء.



في حين لا تفيد مئات العناصر غير المنظمة، والمعرضة للخطر، والتي تتطلب التكاليف المختلفة) اهـ.

5- فلو كان لى مأخذ فهو عدم التناسب بين القدرات والطموح, هناك تجاهل للسنن الكونية, وأهمها جدولة المطلوب بشكل يساعد على تنفيذه, مثل طالب يختار منهج السنة الرابعة فى أول سنة جامعية فى حياته.

أنت تتكلم عن جماعة لا تملك ما يكفي من الكوادر, والإدارة فيها عفوية تقريبا, لا وقت لبناء مخطط إداري وتطبيقه, كيف يمكن الوصول للمنتج المطلوب بدون إعادة هندسة برنامج العمل؟ يعني بناء مخطط للتمدد الكمي والنوعي واختيار العناصر المناسبة لتنفيذه, متضمنا اختيار عناصر يمكن إعادة تأهيلها لهضم تخصصات معقدة.

6- تجربة حماس كمثال:

حماس قبل ارتباطها بالحزب كانت جماعة عشوائية عسكريا, تملك مقاتلين جيدين لكن لا يوجد تخصصات حقيقية, بعضهم ذوو خبرة من أيام حركة فتح, بعضهم بني خبرته بجهد ذاتي كعياش وعماد عقل تقبلهما الله, ويحاولون نشر تلك الخبرة بين أفراد الجهاز العسكري , لكن الكلام عن بناء جماعة منظمة بها هيكل عسكري وإعلامي وسياسي, والهيكل العسكري المنظم يضم تخصصات متكاملة بداية من قيادة أركان وألوية إلى توزيع تخصصات استخبارية ومدفعية ولوجستيات واتصالات وطب عسكري ووحدات هندسية.

جماعة الدولة عملت هذا أو شيئا منه لكن بعشوائية, دمجت خبرات القاعدة بخبرات العراقيين بدون رؤية محددة لهذا الدمج, طبعا سمع الكثيرون دروس أبي علي الأنباري والتي تضمنت عجائب, تضمنت طرحا استراتيجيا ساذجا وأخطاء تاريخية كثيرة, وهذا من المفترض أنه ألمع عقلية استراتيجية فيهم, وزاد الطينة بلة صراعهم مع النقشبندية البعثية والذي أفقدهم كوادر ذات خبرة.

7- فالسؤال التأسيسي : كيف تتحول جماعة منخرطة فى قتال مستمر إلي منظمة قوية على نمط حزب الله مثلا؟ حزب الله يملك شبكة علاقات معقدة جدا, وكذلك كانت حركة فتح, كيف تستنسخ التجربة بدون إشكالات شرعية؟ هذا هو المربط الذي ينبغي على منظري الجبهة السعي فيه وله.

8- فتح اليوم على الرغم من ضعفها العسكري لكن تملك علاقات دولية واسعة, وتسيطر على اتحادات الطلبة الفلسطينيين فى أوربا والأمريكتين, والأهم تملك استثمارات ضخمة, موزعة على شبكة معقدة



تدار عبر وسطاء, مثلا ساويرس فى مصر أحدها (يملكون حصة كبيرة فى أوراسكوم), والمال عصب أى عمل, والاستقلال المالي جزء أساسي فى استقلال القرار, يقول أبو مصعب عن مقاتل الثورات وذكر منها:

(تلقي الدعم الخارجي باستمرار، وعدم الاعتماد على النفس: الدعم الخارجي يكون دائما: غير مستقر، ومشروط. فالاستفادة من التناقضات الإقليمية والثغرات بين الدول، والاعتماد على الأنظمة المعادية للنظام السوري= يعتريه الوقوع كورقة لعب سياسية بأيدي المتصارعين الكبار).

أنا لا أقول أن هذا حاصل, لكن لابد من الحذر من هذه النقطة جيدا, مع الانتباه لإشكالات ترتبط عادة بعملية الاستثمار المالي وتعظيم الموارد:

__أولا__: يجب فهم أن المال وسيلة, فلا يتم تحويل العمل الإسلامي نفسه لتجارة, التجارة تخدم الدين ولا تستخدمه, ولهذه النقطة تفصيل يأتي في النقاط التالية.
ثانيا: المال يجب أن يوزع ولا يكدس في استثمارات محدودة حتى لا يسهل ضربه ومصادرته, بل يجب توزيعه ويكون دائما جزءا صغيرا من استثمارات قائمة فعليا, وعبر شبكة وسطاء.

9- الهيكل الإعلامي وبناء الكوادر:

مما تعانيه الحركة الجهادية عموما: ضعف الترسانة الإعلامية.. قال السوري -بتصرف- :
(**القصف الإعلامي يجب أن يكون خادما لجملة الأهداف والشعارات التي يعمل المجاهدون في سبيل تحقيقهما. فلابد من وضع مخطط إعلامي مبرمج لتعبئة الجماهير، وتوسيع القاعدة الثورية للأنصار والمؤيدين, يجب على إعلام المقاومة أن يكون فكريا لا إخباريا فقط، موجها لغزو قلوب الأنصار والمؤيدين في الداخل والخارج، وأن يخدم نظرية التجنيد والتفكيك**). اهـ.

__الأهداف العامة لإعلام المقاومة__:

1- التعريف برسالة المقاومة، وطبيعة الصراع، ومنطق الصراع، وأطراف الصراع، والأوزان الحقيقية للاعبين الأساسيين.
2- غرس ثقافة المقاومة، بحيث يشكل مشروع المقاومة قائدا لكل شعوب المنطقة ضد العولمة والاستغلال الرأسمالي، والاحتلال العسكري والثقافي والسياسي.



3- التحرر من التبعية الإعلامية والثقافية للغرب ووكلائهم المحليين والإقليميين.
4- إشاعة روح التماسك بين أبناء الأمة، بحيث تتوحد كل مشاريع التحرر من الهيمنة في كل البلاد العربية.
5- إفشال مخططات العدو، ومواجهة حربه النفسية، من خلال كسب العقول والقلوب، وكسب الأرض والخيرات والموارد والأسواق.
6- تصعيد الحرب النفسية ضد العدو، وإضعاف دعم الرأي العام ، وإعداد دراسات علمية مكثفة في هذا الأمر.
7- تقديم مادة إخبارية عن العمل المقاوم، ثم تحليل هذه المعلومات وإدارة النقاش حولها لترسيخها في عقول الجيل الصاعد.
8- إقامة صناعة إعلامية قادرة على إشباع حاجة الأمة لمضمون التحرر، وتضمن الارتقاء بالمادة الإعلامية وبالمادة التقنية وبالكوادر البشرية المتخصصة.

بتصرف يسير من بحث: "التخطيط الريادي الاستراتيجي للمقاومة الإعلامية" لعبد الرحمن الرواشدي .

وهذا ظاهر في تجربة الجبهة, فهي تحتاج لتطوير مؤسسات إعلامية بشقين: رئيسي ومستقل, لتغطية هذه المحاور.

يعني مثلا مشكلة فرع اليمن : تداخل التخصصات, فالمنشد قائد والقائد إعلامي, وهذه كارثة, لابد إلى جانب المؤسسة الرسمية من بناء مؤسسة إعلامية منفصلة كليا, تتبني العمل بصورة أساسية كمؤسسة إعلامية إسلامية مستقلة.

بخلاف المؤسسة الرسمية التابعة, تعمل مؤسسات الظل هذه في جلب الكوادر بشكل أسهل, فكرة المؤسسات المرتبطة الغير تابعة يخفف من الضغط الأمني والسياسي, فأنت يصعب عليك أن تضم كادرا إعلاميا متميزا للدائرة الخاصة, لمخاطر الموضوع أمنيا, لكن لو كانت هناك مؤسسة ظلية /مستقلة تتبني التوجهات = فهي أفضل وأقوى للطرفين, فهي تحمي الكوادر من الاستهداف الممنهج, لأن الاستهداف العرضي سيستمر, وتهم الأدلجة والمنهجة جاهزة, أيضا هي تجلب أهل الخبرة والتخصص, فهناك أشخاص يحملون قدرا من الخير لكن لا يستطيعون الانخراط في عمل خطير كهذا, فالقلوب لا تتساوي في الجرأة, يصعب على البعض تقبل الاستهداف الدائم من الدرون, لكنه قد يتحمل مخاطر من نوع أقل.

10-أيضا فكرة البحث عن موارد داخلية فكرة غائبة تقريبا:

كيف تجعل من إدلب كلها مجتمعا قادرا على الصمود: زراعة تشغيل مصانع إلخ؟

فعّل الزراعة مع إعادة تشغيل معاصر الزيوت مصانع الغزل والنسيج, هناك كثيرون جدا ممن يحبون هذا الدين



لكنهم لن يقاتلوا, جميل جدا كفى بهم أن يكونوا من القطاع الخلفي الذي يقدم الطعام والشراب واللباس, يعني لو جزء من التبرعات استثمر في عمل طويل مثل تجهيز مصنع, أو التعاون مع جماعات أخري لجلب مساعدات إنسانية استثمارية ماكينات ري جرارات زراعية إلخ, هذا ممكن جدا والضغوط حوله قليلة, وممكن عبر منظمات إنسانية وسيطة غير مرتبطة تنظيميا, لتدوير العجلة وتقليل الاستهداف.

قال الشيخ عطية الله –رحمه الله- في الأجوبة الشاملة لأسئلة أعضاء شبكة الحسبة ص 142:
(هناك صيغ يمكن للمجاهدين أن يلجؤوا إليها في هذه المرحلة لإدارة شئون الناس والبلاد، بحيث يكونون هم المشرفين المهيمنين. وتوكل إدارة شئون البلاد والعباد إلى القوى الاجتماعية المحلية، والحمد لله في الناس خير كثير وقوى كبيرة مكنونة سيأتي وقت تفعيلها، وهذا له تفاصيل سهلة وميسورة، وعند قيادات المجاهدين العليا خبرة واسعة بهذا، والحمد لله).

المعركة طويلة جدا, وهي معركة كسب عقول وقلوب هذا أساسها, وتحتاج لتوفير الحاجات بالتنظيم الذكي, النهوض باقتصاد المناطق المحررة يضمن توفير الموارد لتحصينها وتقويتها, وهذه نفس فلسفة بناء المستوطنات الصهيونية التي بدأ بناؤها قبل عقود طويلة من إعلان قيام دول إسرائيل, وكانت أشبه بمجتمعات زراعية وصناعية وخدمية إلى جانب دورها العسكري, والنتيجة ممتازة.
فقد عجزت الجيوش العربية عن اقتحام أي مستوطنة باستثناء كفار ديروم ومستوطنة أخري (تم ذلك بعمل استشهادي مكثف), لكن باقي المستوطنات كانت تحاصر بالشهور وتصمد, الأكراد أنفسهم يفكرون الآن بهذا المنطق, يعززون مدنهم بأنفاق وتحصينات, وسيتحول هذا مستقبلا لبناء قرى ومدن حربية.

استنساخ التجربة ممكن جدا وبالتدريج, فمن يفكر في حرب ستنتهي اليوم أو غدا سيخسر ولابد, الحرب طويلة الأمد جدا.

11-استيعاب فكرة التراكم:
مثلا لو نجحت مؤسسة وسيطة في توفير كهرباء في الصيف لقرية من خلال اللوحات, وأصبح فيها ري منتظم, وخرج من هذه القرية طعام, فهذه نتيجةُ استراتيجيةِ تشغيل غير المقاتلين بعمل يوفر طعاما, وهذا أيضا سيصعب من فكرة تجنيدهم للعدو, فمن سيساهم في تخريب شي له مصلحة فيه أو بيئة قابلة للبقاء, وأيضا سيقلل من أزمة توافر المساعدات من عدمها, فإن توافرت الكهرباء في أماكن كثيرة يمكنهم جعل



بعضها ورشا لعمل المنتجات العسكرية بسرية, فيصعب تحديدها, وكذلك المال يعني إمكانية أخذ زكوات وبناء دفاعات هندسية قوية على الأطراف, ويمكنهم من تحسين ظروف الحياة, فيزيد عدد البشر المقيمين, وهناك فرصة لإقناع بعضهم بالعسكرة.

12- نقطة علاقات الحزب واستثمارات فتح الرهيبة مهمة جدا:

كان لحركة فتح مصنع للذخيرة في اليمن, كان في يوم من الأيام ينتج صواريخ جراد, ومصنع للملابس العسكرية في الصومال, وتم تدريب طيارين في الاتحاد السوفيتي واستعمالهم كمرتزقة في أكثر من دولة, تجارة السلاح وبيع خدمات التدريب العسكري كان نشاطا تجاريا مربحا لفتح, فقد دربوا قوات للشاه, وبعض مرتزقتهم ساهموا في قمع ثورة البلوش, ولاحقا ارتزقوا من بيع السلاح للعراق وإيران (تحت حكم الملالي) فى أثناء الحرب العراقية الإيرانية, وتدريب الحرس الثوري الإيراني, بل وساعدوا حتى في بناء حزب الله نفسه, وأقاموا علاقات ضخمة مع كل الحركات المسلحة في العالم والمتهمة بالإرهاب من الغرب مثلا: الجيش الأحمر الياباني الجيش الجمهوري الأيرلندي والألوية الحمراء في إيطاليا وإيتا في أسبانيا, مع علاقات قوية جدا مع كوبا وألمانيا الشرقية إلخ, فتح جلبت مدرعات من ألمانيا الغربية أثناء الحرب الأهلية في لبنان وعدلتها في ورشها (الغربية التابعة للناتو وليست الشرقية حتى).

تخيل قدر العلاقات, حزب الله له علاقات بكارتلات المخدرات في المكسيك وأمريكا الجنوبية, وتهريب الماس والمعادن النفيسة من الكونغو, وأموال ضخمة تمر عبر بورصات هونج كونج وغيرها, تجارة في السلاح الكوري الشمالي والروسي وبيعه لمن يريد, باعوا بمئات الملايين وربما مليارات لخنازير الحشد الشعبي, و كسبوا كثيرا من بيع أسلحة كورية شمالية وصينية (أقرب لخردة) للميليشيات العراقية.

13- حزب الله نشط للغاية، ويعمل في لبنان على كل الأصعدة:

على الصعيد السياسي: حزب الله حزب سياسي له وزراء في الحكومة ، ونواب كثر في البرلمان، وعلى الصعيد العسكري فهو ميليشيا عسكرية ، له حوالي 10000 جندي على أعلى مستوى من التدريب والتسليح والدعم، وقد صرحت مصادر أمريكية أن ميليشيا حزب الله هي أفضل ميليشيا في العالم وعلى الصعيد الاجتماعي: له جمعياته ومؤسساته المدنية ومستشفياته التي يرتادها أكثر من ربع مليون مريض كل عام, ومن أبرز المؤسسات التي تهتم بالجوانب الاجتماعية والتنموية: مؤسسة الشهيد, جمعية الإمداد, مؤسسة الجرحى, جهاد البناء, الهيئة الصحية الإسلامية, هيئة العمل البلدي, مؤسسة القرض الحسن, كشافة الإمام المهدي, وعلى الصعيد الإعلامي له قناته التلفزيونية (المنار) وله إذاعته (النور) وله صحيفته (العهد), وعلى الصعيد الرياضي: له عدة نواد ومراكز شباب وفريق كرة قدم ينافس على صدارة دوري الدرجة الأولى، وله



مدارسه ومنتدياته.

تردد كثيراً على لسان مسؤولي المخابرات الأمريكية، أن أفريقيا تمثل أكثر مناطق حزب الله نفوذاً ونشاطاً لاستثمار وغسيل الأموال؛ بحجة أن تجمعات شيعية ولبنانية مغتربة تقيم فيها، فضلاً عن تواضع السلطة القانونية, كما تشير التقارير إلى الإسهام الدوري الذي يتلقاه الحزب من الوطنيين اللبنانيين الأثرياء المقيمين في غينيا وسيراليون وليبيريا وبنين، ودول أفريقية أخرى.

كما تدعي تقارير المخابرات البلجيكية الصادرة في يوليو 2000، ارتباط شركات وتجار ألماس لبنانيين بحزب الله، وتحدد منهم عماد عبد الرضا بكري، وعلي أحمد أحمد، وشركات ألماس أفروستارز، وتريبل NV، وألماس عز الدين، كما تربط هذه التقارير تجارة الألماس في الكونغو بتمويل حزب الله, وكان البنك اللبناني الكندي يسمح للكيانات المالية المرتبطة بحزب الله من تحويل مبالغ ضخمة لصالحه تراوحت في بعض الحالات بين 260 ألف دولار أو 200 مليون ليرة لبنانية يوميا!

الحزب كذلك يدير إمبراطورية اقتصادية تعتمد على المخدرات وغسيل الأموال بصورة كبيرة جدا, ففي تقرير أميركي سبق ونشر عن تمويل حزب الله بالأموال المبيضات وأموال المخدرات لخص بالوثائق الثبوتية، تورط مصارف وشركات صيرفة وأفراد بتهمة تبييض الأموال لمصلحة حزب الله.

وذكر أن مؤسسات مالية لبنانية تضم مؤسسات مرتبطة بحزب الله يزعم بأنها حوّلت أكثر من 300 مليون دولار إلى الولايات المتحدة لشراء وشحن سيارات مستعملة إلى غرب أفريقيا كجزء من خطة لتبييض الأموال, ومن ثم نقل الأموال من مبيعات السيارات والمخدرات المهربة إلى لبنان عبر أقنية يشرف عليها حزب الله على صعيد غسل الأموال.

أما عن شحن سيارات مستعملة: فإنه يتم شحن السيارات المستعملة إلى مدينة كوتونو عاصمة جمهورية بنين, حيث تودع في مستودعات ثم تباع من قبل شركات كبيرة للسيارات بينها واحدة عقود ملكيتها إلى مجموعة اليسا وهي فرع لشركة اليسا هولدنغ, ونقل قسم كبير من الأموال النقدية من بيع السيارات إلى لبنان بواسطة نظام يعتمده حزب الله يشمل ناقلي أموال ومهربي نقد وسماسرة عملة, ونقلت الشبكة عشرات الملايين من الدولارات واليورو من بنين إلى لبنان عبر توغو وغانا.

طبعا لا تُطالب الجبهة بكل هذا ولا يصلح لها أكثره, لكن لب القضية أن نفكر في منطق الصراع طويل الأمد وأدواته وأهمها المال فهو عصب الحياة والحركة, والاستفادة من التجارب المعاصرة قدر الإمكان, مع إيجاد الحل للمشاكل الشرعية التي يمكن أن تعترض المتحرك في هذه البحار المتلاطمة.

14-قرأت لأحد المنظرين البارزين لحركة فتح طرح مسألة الاعتماد على أوكرانيا في جلب السلاح للثورة



السورية, استغلالا للتناقضات بينها وبين روسيا حاليا, والذي من شأنه أن يدفعها في هذا المضمار للثأر الذي تحمله للروس, ولتخفيف الضغط عنها, مع جودة السلاح الأوكراني العالية, والتي تفوق بعدة مراحل واردات وأسلحة الغنائم التي تقع من مخازن النظام السوري ومن المعارك معه, وهي نقطة جديرة بالتفكر فيها وحل المشاكل الشرعية والواقعية التي تعترضها.

15- وقرأت أيضا لأبي مصعب عرضه لمسألة تبدو غريبة على أسماع الكثيرين من أبناء التيار, ويمكن الاستفادة منها في ضرب رؤوس النظام السوري وبعض معاونيه من أنجاس الروافض والروس, ألا وهي استغلال المافيات في العمل الجهادي, يقول الشيخ في "شرح حرب المستضعفين" –بتصرف-:

(إذا عجزنا عن هدف, ممكن أكلف أناسا من المجرمين أو من المأجورين يقومون به.
هنا عند أخينا وقفتان, يقول أنه لابد أن يكون جائزا شرعا عندنا, الأمر الثاني أنه محتمل يبيعونا للعدو باعتبارهم مجرمين ولا ضمير لهم.
وهذا لي عليه تعليقان: الأول: أن هذا الأمر وكل أمر ممكن يخطر على بالي أو على بالك أو على بال أي أحد يريد أن يجاهد= خاضع للمحاكمة التي سبق أن قلناها, أن أي مسألة تعرض على ثلاثة محاكمات: المحاكمة الشرعية يجوز أو لا يجوز, حلال أو حرام, فإذا خرجت حلالا نستمر في المحاكمات, إن خرجت حراما نقف, القضية الثانية: هل هو من الناحية السياسية أو المصلحية مفيد أم مضر؟ فإذا خرج مفيدا نستمر, القضية الثالثة بعد أن يكون حلالا ومفيدا: هل هو من الناحية العسكرية والإجرائية ممكن ولا غير ممكن؟
ففي مسألتنا هذه: استئجار كافر لينكي كافرا آخر بالفلوس, في حدود وما سألت عنه سابقا أنه جائز, أنا سألت عن هذه الحالة, طاغوت رأس من الرؤوس لا يمكن لي أن أصل له, فتأتي إلى المافيا وبعض الحركات الجهادية استخدمت هذه القضية حتى في بلادنا مش بره, تقول له: تقتل فلانا ولك نصف مليون دولار, هو يستطيع الوصول بطريقته بأسلوبه.

مسألتنا أن نذهب نحن إلى كافر داخل طالع على العدو, العدو محتاط مني أنا جدا, أقول له: باعتبار أنك داخل وطالع اذهب واقتل فلانا, في حدود معلوماتي إذا نفذ لك كافر مقابل أجر نكاية في الكافرين= فهذه الاستعانة بمشرك جائزة بشروط, وهو أن يكون لك بخصوص هذا الكافر, بحيث لا يمكن أن تعملها بمسلم, وألا يشكل هذا الكافر خطورة, بحيث لو أراد أن ينقلب عليك ويغدر بك لا يستطيع, وأن يكون بصفة فردية لا جماعية, كما كان للرسول عليه الصلاة والسلام دليل قال: توصلني من هنا إلى هناك, كان ذلك في الهجرة.



الشاهد في الموضوع هذا الذي قرأته, فنحن في هذه الحالة حسب ما سألت أنه قال جائز, بقيت نقطة أخرى أنهم ممكن يبيعونا, هذه أنت وشطارتك, أنا أقول أنك عندك أراض وتعمل في منطقة أخرى أو في بلد اخرى, تستأجر شخصا تقول له: اذهب انسف المجمع الفلاني للاتصالات, وإذا سمعنا أنه انفجر وتم تدميره, تأتي إلى عندنا تأخذ أجرك, فلا مجال لأن يبيعني أو غيره, لا دخلت في عصابته, ولا أعطيته أسرارا, ولا شاركته في العملية, وليس هناك مجال للتماس بيني وبينه.

أما قضية أن يغدر بك = فيجب أن تحتاط أنت لنفسك, وقلنا أن كل قضية بحد ذاتها, حتى أذكر مرة من المرات التي رأيتها في فيلم, واحد أتى بالفلوس وقطعها بالمقطع نصفين, نصف القطعة الورقية, نفذ العملية وتأخذ النصف الآخر, كل الفلوس التي عنده ليس لها قيمة, فهمت؟ أو تقول له نفذ ثم خذ أجرك, وإذا تواتر عن المسلمين أنهم يفون بشروطهم ويفون بعهودهم= فسيكونون محل ثقة.

ولكن هذا التخوف الذي تذكره تعرضنا له في قضايا ضرورية جدا وهي التسليح, كل عمليات التسليح في البلاد التي بدأنا فيها جهادا كانت مع المافيا ومع المهربين ومع تجار المخدرات, ووقعنا في أفخاخ شديدة جدا في بلاد الشام من أجل هذه المسألة, حتى صار عند المجاهدين سمعة أنهم يدفعون الفلوس ليوفوا, ثم يقتلون تاجر السلاح الذي باعهم, فانضبط تجار الأسلحة, فلم يعد أحد يدخل في هذه المسألة إلا وهو عارف أنه ممكن أن يقتل, فكانت السطوة للمجاهدين, ولكن بعد أن خسرنا قادة كبارا جدا عندنا في قضية تجارة الأسلحة في بلاد الشام.

فقضية التماس مع العصابات ومع الهياكل الإجرامية هذا فن له أصحابه, ويجب أن نستخدم الإخوة الذين كان لهم سابقة في هذه العوالم, ثم تاب الله عليهم فتحولوا إلى إخوة مخضرمين كما قال العلماء شهد الجاهلية والإسلام, فهذا ممكن تستفيد من ماضيه في حاضره).

أكرر مرة أخرى: ما أريد أن ألفت النظر إليه ليس هذه المسائل في حد ذاتها, بل محاولة التفكير خارج الصندوق, واستغلال الثغرات, وتوسيع دائرة الحركة وبناء الكوادر, ووضع الحلول بما يخدم المسيرة ويؤدي إلى الوصول إلى الهدف.

16-الأثر الدائم للتجربة السورية يمكن تعظيمه أيضا بالإنتاج المعرفي:

التجربة الأفغانية بقي منها خبرات تناقلها أفراد وكتب أنتجها مكتب خدمات المجاهدين, استفادت منها حركات مجاهدة لاحقا كتب في التكتيك والتعليم العسكري والأمن إلخ.

القاعدة في العراق والدولة كان لها إنتاج مماثل: دورات عسكرية مرئية ومقروءة, وإن كانت أقل جودة وترتيبا

من منتجات مكتب الخدمات, لكن غطت نواح لم تشملها الدورات السابقة.

نفس الأمر القاعدة في جزيرة العرب لها إنتاج معرفي لا بأس به.

الجماعات المجاهدة في الشام أنتجت بعض الدورات الجيدة لمواكبة الجديد (الحرب ضد الدروع وتكتيكات الاقتحام ودورات المدفعية والهاون إلخ).

وهناك مجهود فردي لشخص طيب (إمام مسجد) أبو عصام, فأسس مجموعة الحماية العسكرية للثورة السورية ليعلم أبسط الأفراد استعمال السلاح, والنتيجة كانت ممتازة الكل استفاد منها, وكانت دورة تأسيسية يمكن حتى لفرد يقيم في مناطق النظام الاستفادة منها, وعم خيرها حتى على بلاد إسلامية أخرى.

وأضافت صفحات أخري دورات تكتيكية أكثر تقدما (ترجمة لدورات مرئية أجنبية) مثل شبكة شامل وغيرها.

الخلاصة:

يمكن أن تستمر التجربة حتى لو تدمر الأساس المادي لها (لا قدر الله) بواسطة الأثر المعرفي لها, فمثلا لو قامت جماعة بعمل دورات عسكرية وأمنية, تتضمن تكتيكات وأسس استخدام أي سلاح متوافر وصيانته, وترجمة كتب تعليم عسكري, ودورات مرئية في نفس المجالات, إضافة طبعا لدورات أمنية تتضمن الجديد في هذا المجال خصوصا الأمن التقني = فإن فكرة الجهاد مفتوح المصدر تتحقق بأفضل صورها, وإن مات أصحاب التجربة فأثرهم باق ويتمدد.

والحمد لله رب العالمين.

* * *



الله
رسول
محمد